



الجمهورية اليمنية
وزارة التربية والتعليم والبحث العلمي
قطاع المناهج وتخطيط التعليم
الإدارة العامة للمناهج

السيرة النبوية

للصف الأول الثانوي

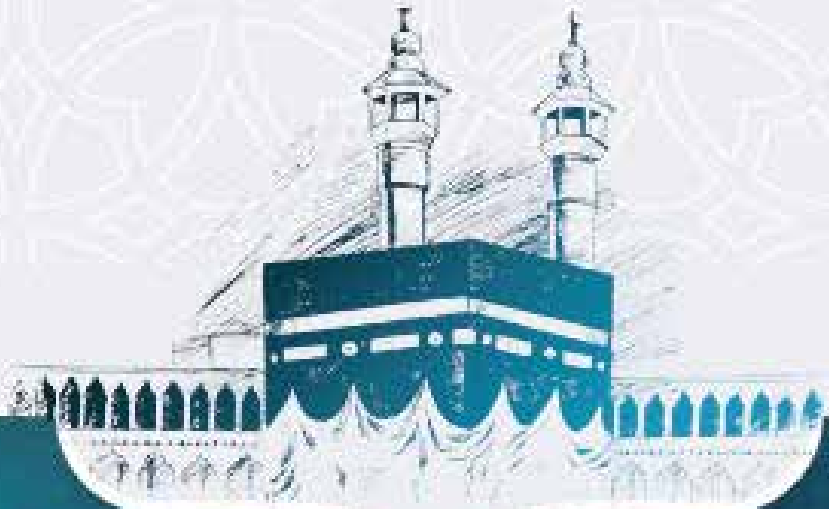

حقوق الطبع محفوظة لوزارة التربية والتعليم والبحث العلمي

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م



الجمهورية اليمنية
وزارة التربية والتعليم والبحث العلمي
قطاع المناهج وتخطيط التعليم
الإدارة العامة للمناهج

السيرة النبوية

للصف الأول الثانوي

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ لِوَزَارَةِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالبَحْثِ العِلْمِيّ

١٤٤٧هـ / ٢٠٢٦م
طَبْعَةٌ تَجْرِيبِيَّةٌ



https://e-learning-moe.edu.ye

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا

ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

http://yaman.e-learning-moe.edu.ye/ylms



النشيد الوطني

رددي أيتها الدنيا نشيدِي ... رددية وأعيدي وأعيدي

واذكري في فرحتي كل شهيد ... وامنحيه حلًا من ضوء عيدي

رددي أيتها الدنيا نشيدي

رددي أيتها الدنيا نشيدي

وحدتي.. وحدتي.. يانشيدًا رائعًا يملأ نفسي ... أنت عهد عالق في كل ذمة

رايتي.. رايتي..يا نسيجًا حكته من كل شمس ... أُخلدي خافقة في كل قمة

أمتي.. أمتي.. اِمنحيني البأس يا مصدر بأسي ... واذخريني لكِ يا أكرم أمة

عشت إيماني وحبي أمميًّا

ومسيري فوق دربي عربيًّا

وسيبقى نبض قلبي يمنيًّا

لن ترى الدنيا على أرضي وصيًّا

• المصدر: قانون رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٦م بشأن السلام الجمهوري، ونشيد الدولة الوطني للجمهورية اليمنية.

تَصْدِير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَرَضِيَ اللَّـهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الـمُنْتَجَبِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

إِنَّ تَطْوِيرَ المَنَاهِجِ الدِّرَاسِيَّةِ يُعَدُّ أَمرًا مُهِمًّا فِي مَسَارِ العَمَلِيَّةِ التَّعْلِيمِيَّةِ؛ لِتُوَاكِبَ التَّغَيُّرَ السَّرِيعَ فِي الجَوَانِبِ المُخْتَلِفَةِ لِلْحَيَاةِ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَلَّا يَكُونَ تَطْوِيرُ المَنَاهِجِ عَمَلًا فَرْدِيًّا، بَلْ عَمَلًا تَعَاوُنِيًّا، يَشْتَرِكُ فِيهِ العُلَمَاءُ المُخْتَصُّونَ وَالأَكَادِيمِيُّونَ وَالبَاحِثُونَ وَالمُشْرِفُونَ التَّرْبَوِيُّونَ وَالمُوَجِّهُونَ وَالمُعَلِّمُونَ وَأَوْلِيَاءُ الأُمُورِ.

وَتَهْتَمُّ وَزَارَةُ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالبَحْثِ العِلْمِي بِالمَنَاهِجِ؛ لِبِنَاءِ الخِبْرَاتِ السَّلِيمَةِ الَّتِي تُشَكِّلُ شَخْصِيَّةَ المُتَعَلِّمِ وِفْقَ الأَبْعَادِ الَّتِي تَتَطَلَّبُهَا المَنَاهِجُ الحَدِيثَةُ، وَالَّتِي تَتَمَثَّلُ فِي الأَهْدَافِ التَّرْبَوِيَّةِ المُنْسَجِمَةِ مَعَ دِينِنَا وَمُجْتَمَعِنَا، وَالأَسَالِيبِ المُنَاسِبَةِ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّعَلُّمِ، وَأَسَالِيبِ التَّقْوِيمِ الكَفِيلَةِ بِحِرَاسَةِ الأَجْيَالِ، وَالتَّأَكُّدِ مِنْ تَحَقُّقِ الأَهْدَافِ التَّرْبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ.

وَنَسْعَى - بِعَوْنِ اللهِ - إِلَى تَطْوِيرِ المَنَاهِجِ مِنْ خِلَالِ: دِرَاسَةِ الوَاقِعِ التَّعْلِيمِيِّ، وَتَعْزِيزِ نِقَاطِ القُوَّةِ المَوْجُودَةِ فِي المَنَاهِجِ الحَالِيَّةِ، وَمُعَالَجَةِ نِقَاطِ الضَّعْفِ فِيهَا، وَرَبْطِ المَادَّةِ الدِّرَاسِيَّةِ الَّتِي يَتَلَقَّاهَا المُتَعَلِّمُ بِالبِيئَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا، وَتَطْوِيرِ أَسَالِيبِ التَّدْرِيسِ بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ مُسْتَوَى المُتَعَلِّمِينَ، وَمُرَاعَاةِ الفُرُوقِ الفَرْدِيَّةِ بَيْنَهُمْ، وَتَشْوِيقِ المُتَعَلِّمِينَ لِفَهْمِ المُحْتَوَى وَالارْتِقَاءِ بِمُسْتَوَيَاتِهِمُ التَّحْصِيلِيَّةِ مِنْ صَفٍّ إِلَى صَفٍّ بِشَكْلٍ مُمْتِعٍ.

وَلَا نَنْسَى أَنَّ تَنْفِيذَ المَنَاهِجِ لَيْسَ مِنْ مَهَامِّ المُعَلِّمِ وَحْدَهُ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَمَلًا تَكَامُلِيًّا يَشْتَرِكُ فِيهِ المُعَلِّمُ وَالمُتَعَلِّمُ وَوَلِيُّ الأَمْرِ وَالمُدِيرُ وَالمُوَجِّهُ وَمُؤَسَّسَاتُ المُجْتَمَعِ المَدَنِيِّ كُلُّهَا.

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَكْتُبَ أَجْرَ كُلِّ مَنْ شَارَكَ فِي تَطْوِيرِ المَنَاهِجِ، وَكُلِّ مَنْ يُشَارِكُ فِي تَنْفِيذِهَا عَلَى أَرْضِ الوَاقِعِ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يُبَارِكَ هَذِهِ الجُهُودَ الطَّيِّبَةَ، وَأَنْ يَأْخُذَ بِأَيْدِينَا لِبِنَاءِ الأَجْيَالِ بِنَاءً مُتَكَامِلًا.

وَزِيرُ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ والبَحْثِ العِلْمِيّ



http://yaman.e-learning-moe.edu.ye/ylms

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب] والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد بن عبدالله المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى أهل بيته المطهرين، ورضي الله عن الصحابة الأخيار من المهاجرين والأنصار، أما بعد:

فهذا كتاب (السيرة) للصف الأول الثانوي، نهديه لأبنائنا الطلاب وبناتنا الطالبات ونضعه بين أيديهم في حلته الجديدة بعد أن تم تطويره وإعداده بما ينمي معرفتهم الصحيحة الواعية برسول الله القدوةً وقائدًا وهاديًا إلى الله، وفي وقت تحتاج فيه الأجيال أمس الحاجة إلى ذلك، سيما والأعداء يسعون بكل جهد، وعبر مختلف الوسائل إلى تشويه نصاعة صورته الطاهرة، وفصل أبناء الامة عن الانشداد النفسي والوجداني والفكري والعملي عن رسول الله الله ، لتتسنى لهم الهيمنة على مشاعر الأمة وتوجّهاتها ومواقفها.

ويأتي هذا التطوير في إطار الجهود الكبيرة التي تبذلها وزارة التربية والتعليم والبحث العلمي للرقي بالمناهج الدراسية والعملية التعليمية.

وقد اشتمل هذا الكتاب على خمسة دروس في الفصل الأول، وسبعة دروس في الفصل الثاني، مناسبة لطلبة المرحلة الثانوية، لكونها تمس حاجة الطلبة اليومية، وإن وكانت قد عُرضت في المراحل السابقة إلا أننا نعيد طرحها الآن بتفصيل أكثر قليلا، مع المحافظة بقدر الإمكان على الاختصار والاقتصار على القدر الضروري الذي يحقق الأهداف المرسومة لهذه المرحلة التعليمية، ويتزود منها الطلبة وعيًا وإيمانًا وبصيرة. وقد حرصنا عند إعداد الدروس على الآتي:

- أن تكون واضحة وسهلة ومبسطة، بحيث تتلاءم مع المستوى المعرفي للطلبة في هذه المرحلة.

- أن تكون هذه الدروس من سيرة النبي مستنيرة بالقرآن الكريم، ومرتبطة بالواقع العملي الذي يرقى بالوعي ويسمو بالنفس، ويصوّب السلوك والعمل بهدى القرآن الكريم.
- إثراء الدروس وتطويرها لكي تعتمد على التعلم التشاركي للطلاب؛ لينمي مهاراتهم، وتقديم عدد من الأسئلة المتنوعة في ختام كل درس كتقويم؛ لترسيخ ما تم تعلمه، والتأكد من مدى تحقق الأهداف المرسومة.
- ترسيخ القيم الإيمانية والأخلاقية المستوحاة من الدروس.

وبما أن أهم أهداف السيرة النبوية هو أن يصل الطلبة إلى المعرفة الصحيحة بأمور دينهم ومعرفة رسولهم حق المعرفة، فإن على المعلم الاستعانة بالوسائل والتقنيات المتاحة لتحقيق هذا الهدف العظيم، وعليه الاهتمام بترسيخ عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس الطلبة، وحثهم على الاقتداء به؛ للتمكن من ربط الطلبة بهذه الشخصية العظيمة والمهمة في حياتهم، ويتحقق الهدف المنشود، وهو المعرفة الصحيحة للرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء به.

وقد عمدنا إلى أن يكون الكتاب مختصرًا بقدر الإمكان، اختصارًا لا يخل بجوهره، ويقدم له الأسس المعرفية اللازمة.

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل، وأن يجعله خالصًا له، وأن ينفع به أبناءنا الطلاب وبناتنا الطالبات، وأن نكون قد ساهمنا به مع المعلمين والمعلمات في أداء هذا الواجب العظيم.

فريق التطوير

المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة
التصدير	٤
المقدمة	٥
الفصل الدراسي الأول	
الدرس الأول: أهمية السيرة النبوية ومصادرها	٩
الدرس الثاني: واقع العرب قبل البعثة	١٥
الدرس الثالث: مولد الرسول الأعظم	٢١
الدرس الرابع: حياة الرسول قبل البعثة	٢٧
الدرس الخامس: صفات الرسول	٣٤
الفصل الدراسي الثاني	
الدرس الأول: البعثة النبوية	٤١
الدرس الثاني: تبليغ رسالة الله إلى الناس	٤٥
الدرس الثالث: أساليب المشركين في الصد عن الإسلام	٥١
الدرس الرابع: الهجرة إلى الحبشة	٥٩
الدرس الخامس: عام الحُزن والخروج إلى الطائف	٦٦
الدرس السادس: الإسراء إلى المسجد الأقصى	٧١
الدرس السابع: بيعتا العقبة	٧٤

https://e-learning-moe.edu.ye

الفصل الدراسي الأول

الدرس الأول
أهمية السيرة النبوية ومصادرها

الدرس الثاني
واقع العرب قبل البعثة

الدرس الثالث
مولد الرسول الأعظم

الدرس الرابع
حياة الرسول قبل البعثة

الدرس الخامس
صفات الرسول

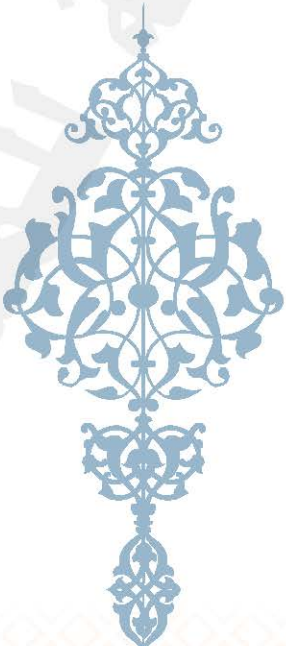



أهمية السيرة النبوية ومصادرها

قال الله تعالى

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

بلغ رسول الله ﷺ درجة الكمال البشري في جميع جوانب الحياة الإنسانية، فكان صلوات الله عليه وعلى آله السياسي الحكيم، والقائد العظيم، والحاكم العادل، وكان صاحب الخلق العظيم، والمثل الأعلى في كل شؤون الحياة.

وقد اهتم المسلمون بالسيرة النبوية، وإبراز شخصية النبي ﷺ العظيمة، وأخلاقه، وشمائله، وسيظل النبي ﷺ هو قائد هذه الأمة، والأسوة الحسنة لهم في جميع شؤونهم، في كل زمان.

مفهوم السيرة النبوية

السيرة النبوية: هي علمٌ يتناول جوانب شخصية النبي ﷺ وما يرتبط بحياته ومواقفه وسلوكه وطريقة تعامله مع التحديات والأحداث وغيرها منذُ مولده حتى وفاته ﷺ.

أهداف دراسة السيرة النبوية

تظهر أهمية دراسة السيرة النبوية بالنظر إلى أهداف دراستها، المتمثلة في الآتي:

١- **التعرّف على شخصية الرسول** ﷺ: فدراسة السيرة تكشف عن جوانب مهمّة من شخصية الرسول ﷺ، وما يرتبط بحياته، ومواقفه، وسلوكه، وطريقة تعامله مع الأحداث والتحديات والمستجدّات، والتي من خلالها ندرك الكمالات الإنسانية المتجسدة في شخصية رسول الله محمد ﷺ، حيث كان هو المعلم الناصح، والمربي الرحيم، والقائد الحكيم، والداعي إلى الله الذي بذل قصارى جهده لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، والدفاع عن دين الله.

٢- **تعظيم الرسول** ﷺ **ومحبّته**: فدراسة السيرة النبوية تعرّف المسلمين بجوانب العظمة في شخصية الرسول ﷺ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وجعله أفضل خلقه، وسيد أنبيائه، وتغرس في قلوب المسلمين في كل عصر وعبر الأجيال المختلفة تعظيم الرسول ﷺ وتوقيره ومحبته ﷺ، فهو كان سببًا في هدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

٣- **طاعة الرسول** ﷺ، **واتباعه**: فدراسة السيرة النبوية تعرّف المسلمين بشخصية الرسول ﷺ، الذي جعله الله وسيلة لاهتدائهم بمنهج الله، ومبلغًا ومجسِّدًا لنهج الهداية، فيدركون أهمية طاعته واتباعه؛ ليصلوا بذلك إلى هداية الله ورحمته، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦﴾ [النور]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال سبحانه ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور:٥٤].

٤- **الاقتداء والتأسّي بالنبي** ﷺ: فدراسة السيرة النبوية تمكننا من التعرف على صورة كاملة للقدوة الحسنة والمثل الأعلى في كل شأن من شؤون الحياة، وتجعلنا نقف على التطبيق العملي لأحكام الاسلام وقيمه ومبادئه؛ من خلال دراسة حياة الرسول ﷺ

التي كانت تجسيدًا لهدى الله، فنجعل من الرسول ﷺ خير قدوة وأفضل أسوة، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

٥- **اكتساب المعارف الإسلامية الصحيحة**: فدراسة السيرة تمكننا من التعرف على أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة، في العقيدة، والأحكام، والأخلاق، والسياسة، والسلم، والحرب، وغيرها، وذلك لأن حياته ﷺ شاملة لكل النواحي، الإنسانية، والاجتماعية والمعرفية، التي يمارسها الإنسان في حياته.

٦- **التعرف على مسيرة الدعوة الإسلامية وأطوارها**: فدراسة السيرة النبوية تعرّف المسلم بالتضحيات التي بذلها الرسول ﷺ، ومن معه من الصحابة الأخيار، وما عانوه في سبيل إعلاء كلمة الله، وفي سبيل هداية الناس وإرشادهم.

مصادر السيرة النبوية

إن الكشف عن جوانب شخصية النبي ﷺ وما يرتبط بحياته ومواقفه وسلوكه وأوضاعه وطريقة تعامله مع الأحداث والتحديات والمستجدات وغير ذلك هو ما يراد بحثه عادة في السيرة النبوية.

ومن المعلوم أن السيرة العظيمة للنبي ﷺ قد تعرضت للكثير من الافتراء والتشويه على أيدي حكام الجور وعلماء السلاطين وغيرهم؛ ليبرروا ما كانوا عليه من الظلم والضلال والغواية والانحطاط، ويُضعِفوا علاقة الأمة بنبيها، ويبعدوها عن الاقتداء به وتعظيمه، وذلك عن طريق دس نصوص مُختلَقَة ومزيفة في كتب السيرة والتاريخ، تسيء إلى رسول الله ﷺ وتنسب إليه ما لا يليق به، أو تُظهره مجرد واعظٍ لا يفقه جوانب الحياة المختلفة، أو تُصوّره متوحشًا أو ضعيفًا، حاشاه من كل ذلك.

فمن أكبر الأخطار المهدّدة لأئمة الكفر وأوليائهم هو ارتباط الأمة بشكل صحيح وواعٍ بالقرآن الكريم والنبي العظيم ﷺ، ولذلك يتبنى اليهود الحملات المسيئة للرسول ﷺ بمختلف الأساليب والوسائل، ومن المؤسف أنهم اعتمدوا في ذلك على روايات مدسوسة في بعض كتب أمتنا، ومما زاد الوضع سوءًا أن حكام الجور في أُمتنا يُدجنون الشعوب للاستهانة بكل المقدسات، ويسعون لفصل الناس عن الارتباط الصحيح الواعي بالقرآن والرسول ﷺ.

ولذلك أصبح من الضروري جدًا إذا أردنا أن نُكوِّن صورةً واضحة ونقية عن حياة وسيرة رسول الله ﷺ أن نعتمد على مصادر صحيحة، ومعايير وضوابط تكون قادرة على إعطائنا الصورة الحقيقية الأكثر نقاءً وصفاءً عن شخصية النبي ﷺ، وتكون قادرة أيضا على إبعاد ذلك الجانب المصطنع والمزيف من النصوص عن محيطنا الفكري والعملي بصورة كاملة، فما هي تلك المصادر التي ينبغي اعتمادها لاستخراج سيرة رسول الله ﷺ؟ وما هي المعايير والضوابط التي يجب أن نعتمدها لتمييز النصوص الصحيحة من النصوص المزيفة؟

هناك مصادر يمكننا أن نفهم بالاعتماد عليها معالم شخصية النبي ﷺ وتفاصيل حياته وسيرته، وهي:

أولًا: القرآن الكريم

القرآن الكريم أعطى صورة واضحة ورائعة عن شخصية النبي ﷺ وصفاته وخصائصه ومواقفه في كثير من السور والآيات، ويستطيع قارئ القرآن بالتدبر في الآيات التي نزلت في شأن رسول الله ﷺ أن يحيط بالكثير من جوانب شخصيته وحياته منذ أن بعثه الله، وإلى أن فارق هذه الدنيا.

فقد أشار القرآن إلى مكانة النبي ﷺ ومنزلته وعظمته وإلى صفاته وخصائصه: كالعصمة والطهارة، والرأفة، والرحمة، والعطف، والشجاعة، وأشار القرآن الكريم إلى أخلاق النبي وصبره وثباته في مواقع التحدي، وإلى طريقة تبليغه للرسالة، وإلى مواقفه، وغير ذلك

مما يرتبط بحياته وسيرته، في كثير من الآيات والسور، وبما يبرز جاذبية شخصيته العظيمة ﷺ، ويعيننا ويحفزنا على الاقتداء به ﷺ، فالرجوع إلى القرآن واستخراج أهم جوانب شخصية النبي ﷺ وصفاته وأفعاله يُعدُّ أوثقَ وأصح الطرق والمصادر لدراسة شخصية النبي وتكوين صورة واضحة ونقية عن حياته وأخلاقه وعلاقاته ومواقفه وقيادته والتحديات التي واجهها في طريق إقامة الدين وإبلاغ رسالة الله.

ثانيا: الروايات التاريخية التي لا تخالف الصورة القرآنية للنبي ﷺ:

المحطات التاريخية الأساسية، والحوادث البارزة المشهورة التي اتفق عليها المسلمون تُعتبر من مصادر السيرة النبوية، كالهجرة وغزوة بدرٍ وأُحد والخندق وفتح مكة وخيبر، ومؤتة وتبوك وحجة الوداع وحادثة الغدير، وغيرها كثير، أما ما اختلفت فيه الأمة فنقبل منه ما وافق الصورة الناصعة العظيمة التي رسمها القرآن الكريم للنبي ﷺ في إيمانه وثقته العظيمة بربه، ورحمته وحرصه على هداية الناس، وعظمة أخلاقه، وسمو نفسه وعزمه وهمته وصبره وغير ذلك، وأما ما تعارض مع الصورة القرآنية للنبي ﷺ فنردّه مهما كان مصدره.

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «سَيُكْذَبُ عَلَيَّ كَمَا كُذِبَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي؛ فَمَا أَتَاكُمْ عَنِي فَاعْرِضُوهُ عَلَى كِتَابِ اللهِ: فَمَا وَافَقَهُ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا قُلْتُهُ، وَمَا خَالَفَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَمْ أَقُلْهُ».

النشاط

ابحث عن بعض صفات الرسول ﷺ التي جاء ذكرها في القرآن الكريم في الآيتين الأخيرتين من سورة (التوبة)، واكتب الآيات في دفترك، وناقشها مع معلمك وزملائك.

الأســـئلة

١- ما المقصود بالسيرة النبوية؟

٢- عدد أربعة من أهداف دراسة السيرة النبوية.

٣- وضح دور دراسة السيرة النبوية في الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ.

واقع العرب قبل البعثة

قال الله تعالى

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

البداية الطبيعية للحديث عن رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ تفرض علينا إعطاء لمحة عن تاريخ ما قبل البعثة، وما اتصل بها من أحداث ووقائع؛ لنتعرف على الظروف والأوضاع التي كانت سائدة آنذاك.

وسوف نستعرض في درسنا هذا الظروف والأوضاع الدينية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي.

١- الوضع الديني

على المستوى الديني كانت الوثنية هي السائدة في شبه الجزيرة العربية، وكانت عقيدة الشرك وعبادة الأصنام متفشية بين سكان هذه المنطقة، حتى وصلت إلى مستوى القبيلة، فكان لكل قبيلةٍ - أو لكل بيت أحيانًا - وثنٌ وطريقة في العبادة، وبالرغم من أنهم كانوا يعتقدون بوجود الله، وأنه الخالق إلا أنهم كانوا يعتبرون أن عبادتهم للأصنام تقربهم إلى الله زلفى، وقد أشار

القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، ولم يكن الوثنيون يعتقدون بالبعث والمعاد بعد الموت.

أما عُنْوانَا (اليهودية) و(النصرانية) فقد أصبحا مجرّد عنوانين قوميّين ضالَّين، بسبب التحريف الذي انحرف بهما عن الإسلام الحق الذي جاء به نبي الله موسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل.

٢- الوضع السياسي

أما على المستوى السياسي فإن سكان شبه الجزيرة العربية آنذاك لم يخضعوا لأي نظام أو سلطة مركزية غير سلطة القبيلة.

ونظرًا لكون طبيعة المنطقة صحراوية في معظمها لا تصلح للزراعة والعمل ولا تساعد على الاستقرار وتنظيم الحياة والإنتاج؛ فإن هذه المنطقة بقيت بعيدة عن سيطرة ونفوذ الدول الكبرى آنذاك كدولة الفرس، ودولة الروم، فلم تخضع المنطقة لحكم أيٍّ من الرومان والفرس والأحباش.

ومن هنا فقد نشأت عن هذا الوضع ظاهرة الدويلات القبلية؛ فكان لكل قبيلة حاكم، ولكل صاحب قوة سلطان، ولم يكن يجمعهم نظام مركزيٍّ واحد، أو سلطة سياسية مركزية، وإنما كانوا يعيشون فراغًا سياسيًّا في هذا الجانب.

٣- الوضع الاجتماعي

أما الوضع الاجتماعي فإن الجاهلية التي كان يعيشها الإنسان العربي في البادية والحكم القبلي، وعدم وجود وازع ديني دفعت بالقبائل إلى ممارسة الحرب والاعتداء على بعضها، كوسيلة من وسائل تأمين العيش وفرض السيطرة أحيانًا، وأحيانًا أخرى للثأر والاقتصاص،

فكانت تُغير هذه القبيلة على تلك وتستولي على أموالها، وتسبي نساءها وأطفالها، وتقتل أو تأسر من تقدر عليه من رجالها، ثم تعود القبيلة المنكوبة تتربص بالقبيلة التي غلبتها، وهكذا.

ولذلك فإن من يطالع كتب التاريخ يرى بوضوح إلى أي حد كانت الحالة الاجتماعية متردية في ذلك العصر، فالسلب والنهب والإغارة والتعصب القبلي كان من سمات ذلك المجتمع، حتى إذا لم تجد القبيلة من تغير عليه من أعدائها أغارت على أصدقائها، وحتى على أبناء عمها!.

وكانت لأتفه الأسباب تحدث بينهم حروب طاحنة، يذهب ضحيتها آلاف الناس، وتستمر لسنين طويلة، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك ما عرف بحرب (داحس والغبراء) التي سُمّيتا باسم فَرَسَين تسابقا، واختلف صاحباهما حول السابق منهما، وقد أدى اختلافهما بسبب هذا الأمر التافه إلى التنازع ونشوب الحرب بين قبيلتيهما، حيث استمرت الحرب بينهما أربعين سنة.

يقول جعفر بن أبي طالب وهو يصف الوضع الجاهلي لما دخل على النجاشي وقد سألهم عن أحوالهم قال: «كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ: نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ..».

وكان المجتمع العربي مجتمعًا أُمّيًّا لا يمتلك ثقافةً ولا معرفة ولا وعيًا، والأمّيّة العربية كانت أمّيَّةً شاملة، وليست أمّيَّةً في القراءة والكتابة فحسب، ولذلك عندما بعث الرسول ﷺ لم يكن هدف الرسالة الإلهية أن يكون له برنامج (محو أمّيَّة) لتنتهي مشكلتهم.

فالأمية الأكبر من ذلك والأخطر - بكل ما تعنيه الكلمة - أنهم كانوا لا يمتلكون رؤيةً صحيحة، ولا فهمًا صحيحًا، ولا معرفةً صحيحة بأشياء كثيرة جدًّا، ينقصهم الوعي، تجاه معظم الأمور التي تتصل بحياتهم ومسؤوليتهم في مختلف المسائل، الدينية والسياسية والاجتماعية وغيرها، تشيع فيهم خرافاتٌ كثيرة، ومفاهيمُ تنحرف بهم في واقع حياتهم، وضياعٌ في الحياة؛ فلا هدفَ ولا مسيرةً صحيحةً يتحركون على أساسها، وهذه الأمّيّة كانت

قائمة في الواقع البشري العام، لدى العرب ولدى غيرهم من الأمم والأقوام الآخرين الذين كان لديهم نفس المشكلة وبقدرٍ متفاوت، ولكن المجتمع العربي كان المجتمع الأكثر أمّيَّةً، والأكثر تيهًا وجهلًا.

٤- الانحطاط الأخلاقي

وأما الوضع الأخلاقي العام فقد كانت القسوة، والفاحشة، وتعاطي الخمر، والربا، ووأد البنات خشية العار، وقتل الأولاد خشية الفقر، وغير ذلك هي السمات العامة في المجتمع الجاهلي.

ويكفي أن نشير إلى بعض النماذج من العادات والتقاليد غير الأخلاقية التي كانت سائدة آنذاك؛ لمعرفة مدى شيوع الفاحشة والتحلل الأخلاقي في تلك المجتمعات.

فمن ذلك أن يأخذ الابن زوجة أبيه بعد وفاته، كجزءٍ من المتاع الذي يورث، وقد أشار القرآن إلى تحريم هذا السلوك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ [النساء].

وأنهم كانوا يُكرِهون الجواري والإماء على البغاء والزنا؛ من أجل المال! وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ [النور:٣٣].

وكان الرجل إذا هدده الإفلاس وشعر بأنه سيُصاب بالفقر بادر إلى قتل أولاده؛ خوفًا من الفقر، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١].

كما أننا نستطيع معرفة مدى شيوع ظاهرة وأد البنات ودفنهن وهن أحياء من تشنيع القرآن الكريم عليهم بهذه العادة، وإدانته لهذه الجريمة، وتعنيفه لتلك المجتمعات على هذا السلوك الوحشي البشع؛ فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير].

وقال أيضا: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل].

هذه هي بعض أوضاع وأحوال المجتمع في شبه الجزيرة العربية آنذاك.

النقلة التي أحدثها الإسلام في واقع العرب

ومن قلب هذا المجتمع، وهذا الجو المعقد والمشرذم الذي توافرت فيه كل أنواع الفساد، والبعد عن القيم والأخلاق الذي يتطلب عملية تغيير شاملة خرج رسول الله ﷺ ليكون قائد عملية التغيير هذه بالوحي الإلهي، وبالرعاية الربانية، وعلى أساس الحق والصدق والطهر، وقد استطاع الرسول ﷺ في فترة وجيزة جدًّا أن ينقل هذه الأمة من حضيض الذل والمهانة إلى أوج العظمة والعزة والكرامة، وأن يغرس فيها شجرة الإيمان التي من شأنها أن تغير كل عاداتها ومفاهيمها الجاهلية، وأن تقضي على كل أسباب شقائها وآلامها.

لقد استطاع الإسلام في فترة وجيزة أن يحقق أعظم إنجاز وأكبر تغيير، وأن يحدث تحوّلًا حقيقيًّا وجذريًّا في عقلية ومواقف وسلوك وأخلاق تلك الأمة، وأن ينقلها من العدم إلى الوجود، ومن الموت إلى الحياة.

وقد عبر عن ذلك جعفر بن أبي طالب لملك الحبشة بعدما بين له الأوضاع المتردية التي كانوا يعيشونها قبل مبعث النبي ﷺ فقال: « فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ..».

ومن هنا ندرك قيمة الهدي الإلهي وعظمته، وقدرته على التغيير الواسع والشامل، وأنه المنهج الوحيد القادر على أن يعالج الوضعية الجاهلية ماضيًا وحاضرًا، ففي هذا الزمن هُدَى الله وحده هو ما يمكن أن يخرجنا من جاهلية اليوم، ويعالج مشكلة الأمّيَّة التي نعيشها كعرب في المقدمة، ثم مَن حولنا مِن بقية الأمم.

فلا يمكن - إلا بهدى الله - أن تتغير هذه الأميَّة التي جعلت الأمة اليوم في حيرة وتخبط وضياعٍ، وعدم قدرةٍ على تشخيص واقعها المخزي، ومعرفة سبل الخروج منه، ولن ينقذنا من جاهلية اليوم إلَّا الرجوع إلى هذا الهدى الذي أنقذنا الله به فيما سبق من الجاهلية الأولى، وغير الواقع بشكلٍ جذري، فهو وحده الكفيل في الجاهلية الأخرى بإنقاذ الأمة والانتقال بها وانتشالها من هذه الحالة.

النشاط

قارن بين جاهلية اليوم والجاهلية الأولى، من حيث مظاهرها وسبل الخروج منها، وتناقش مع معلمك وزملائك عن ذلك.

الأســـئلة

١- اذكر بإيجاز أهم جوانب الضياع الاجتماعي والأخلاقي التي كانت سائدة في منطقة شبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي.

٢- ماهي أسباب بقاء المنطقة العربية بعيدة عن سيطرة ونفوذ الدول الكبرى آنذاك كدولة الفرس، ودولة الرومان؟

٣- كيف وصف جعفر بن أبي طالب الحالة التي كانت سائدة على العرب في الجاهلية؟

٤- اشرح باختصار مدى النقلة الكبيرة التي أحدثها الإسلام في الواقع العربي.

مولد الرسول الأعظم

قال الله تعالى

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[يونس].

في وسط ذلك الركام الهائل من الضلال والضياع في كل مجالات الحياة، والظلام الذي طغى على العالم، والفساد الأخلاقي والعقائدي في زمن الجاهلية، أكرم الله البشريّة بميلاد الرسول الأعظم ﷺ الذي أرسله الله رحمة للعالمين، والذي اختاره الله لحمل نور الله ومشروعه ورسالته، فهدى الله به الناس إلى الحق، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، فكان مولده ﷺ من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الناس، وعن عظيم هذه النعمة، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

بشارات مولد الرسول الخاتم ﷺ

جاء ذكر النبي الخاتم محمد بن عبدالله ﷺ في الكتب السماوية القديمة، وبشّر به الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

وقد بلغت منزلته العظيمة إلى مستوى أن أخذ الله تعالى الميثاق على الأنبياء أنه إذا بُعث في عصر أي أحدٍ منهم أن يؤمنوا به وينصروه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران:٨١].

حادثة أصحاب الفيل

في القرن السادس الميلادي غزا الأحباش اليمن، وكان والي صنعاء (أبرهة الحبشي)، قد بنى كنيسة (القُلَّيْس) في صنعاء على أحسن ما يكون البناء، وأراد أن يحج العرب إليها بدلا من الكعبة المشرفة، ليصرف الناس عن مكة والنبي الذي سيولد فيها.

وفي العام (٥٧٠) للميلاد - وهو العام الذي ولد فيه الرسول ﷺ - اتجهت فيه قوة عسكرية جبَّارة، بقيادة أبرهة الحبشي، الذي كان له جيش من الحبشة ومن مرتزقة العرب، سواءً من اليمن أو من غيرها، وكان جيشًا ضخمًا مواليًا للإمبراطورية الرومانية، اتجه بأمر من الروم إلى مكة لهدفين: الأول هدم الكعبة، إضافة إلى هدف رئيس آخر يغفل عنه الكثير وهو منع قيام المشروع الإلهي المنقذ للبشر في الحقبة الأخيرة بالرسالة الخاتمة، بعدما شاع وعرف من بشاراتٍ وأخبارٍ أنّ ذلك التوقيت سيولد فيه نبيٌّ جديد يغيّر وجه هذا العالم، ويسقط الكيانات القائمة للطاغوت والاستكبار والفساد والظلم والانحراف؛ ولذلك سمى الله عملهم (كيدًا) حين أظهروا هدفًا وأبطنوا هدفًا آخر، فقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ [الفيل]، فتوجَّه جيش أبرهة، وفي مقدمته فيلٌ كبيرٌ، أو مجموعة من الفيلة كما في بعض الأخبار بينها فيل كبير ، و كان الفيل يستخدم عسكريًّا لدى بعض الدول والكيانات الكبرى آنذاك ، كما هو حال الروم والفرس، فكان استخدامه نوعًا من الحرب النفسية، فالعرب كانوا يخافون جدًّا من الفيل، ويرون فيه عتادًا عسكريًّا غير مألوف بالنسبة لهم؛ ولا تثبت أمامه الخيول.

ورغم ما للكعبة والبيت الحرام من تقديس في نفوس العرب إلَّا أنهم لم يتصدوا لأولئك الغزاة، وذلك للأسباب الآتية:

١- الخوف من إمكانات جيش أبرهة، وفي مقدمته الفيل.

٢- التفرق والاختلاف والشتات الذي كان سائدًا على العرب.

٣- غفلتهم عن الهدف الرئيس لتلك الحملة العسكرية التي كانت مشابهة لحملة فرعون بقتل كل أطفال بني إسرائيل استباقًا لولادة نبي الله موسى عليه السلام.

فواصل الجيش مسيره حتى وصل وادي (المحسّر)، فَبَرَكَ الفيل وامتنع عن السير، وكانوا إذا وجّهوه إلى جهة غير جهة مكّة تحرك مسرعًا.

وفي هذه الأثناء أرسل الله على أبرهة وجيشه أسرابًا من الطير الأبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، تصيب الواحد منهم فتخترق جسمه، فهلك الجيش جميعًا، وحمى الله بيته، وخاب سعي أصحاب الفيل، وأبطل الله مكرهم، وجعل كيدهم في تضليل، وقد سجل القرآن الكريم هذه الحادثة في سورة (الفيل).

قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل]، وبعد حادثة الفيل بحوالي أربعين يومًا ولد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

منع الجن من استراق السمع

كما حدثت متغيراتٌ كونيةٌ كبرى، مقترنة بالقدوم الميمون والمولد المبارك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان من أبرزها: منع الجن والشياطين من استراق السمع في السماء، ورميهم بالشهب، كما ذكره الله في الآية المباركة: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨﴾ [الجن]،

حتى صار الإنس الذين يأخذون من الجن الأخبار لا يعلمون بشيء، وسادت حالة من التوجّس وانتظار تغيير كبير يوشك أن يحصل.

الحكمة من هذه الإرهاصات

١- لم تكن حادثة الفيل حدثًا عاديًّا، بل لربما كان أبرز حدثٍ من بعد نبي الله عيسى عليه السلام، وكان له أثره الكبير في تعزيز مكانة ودور الكعبة المشرفة، ومكة المكرمة، كمركزٍ دينيٍّ مقدس، والتهيئة للرسالة الإلهية، التي سيكون مهدها الأول هو مكة.

٢- تلك الإرهاصات التي تزامنت مع ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت علاماتٍ ممهدةً ومُهيِّئةً للذهنية العامة أن هذا المولود القادم له شأنٌ خاصٌّ، و دورٌ مهم، وهذه حكمة من الله ورحمة، فالله لم يأتِ به فجأةً دون مقدمات تساعد الناس على معرفة عظمة شأنه، وتقبل ما يأتي به، وتقيم عليهم الحجة.

وحينما كبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان الناس يرون ما فيه من صفات العظمة، ويذكرون أنه ولد في ذلك العام الذي حصلت فيه تلك الأحداث العظيمة، فكان هذا مما يساعد على تقبّل الهدى الذي جاء به، وإبلاغ الحجة على الناس.

مولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

اختار عبدالمطلب لولده (عبدالله) سيدة بني زهرة (آمنة بنت وهب) لتكون عروسًا له، فحملت آمنة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد أشهر من الزواج المبارك اتجه عبد الله بن عبد المطلب في تجارة إلى الشام، وعند عودته مرّ بيثرب -والتي سميت فيما بعد بالمدينة المنورة- ومكث عند أخواله (بني النجار)، وأدركه المرض، وتُوفي في يثرب ودفن بها، وكان ذلك العام هو العام الذي وقعت فيه حادثة الفيل، وفيه ولد رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان مولده ﷺ في أطهر أرض، وهي البلد الحرام مكّة المكرّمة، خير بُلدان الأرض وأشرفها، في شِعب بني هاشم، فجر يوم الإثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل، بعد أيّام من حادثة الفيل، وبعد أشهر قليلة من وفاة والده عبدالله، وكان ذلك سنة (٥٧٠) للميلاد.

ذكرى المولد النبوي الشريف

ذكرى المولد النبوي الشريف مناسبة عظيمة تتجدّد كل عام، وهي محطّة إيمانية مهمة يحرص المسلمون على إحيائها؛ لغرس محبة النبي ﷺ في نفوس الأجيال، ولتجديد العهد مع الرسول ﷺ، والتأكيد على تمسُّك الأمّة بنبيها، والتذكير بفضل النبي ﷺ، ومكانته، وأخلاقه، ودعوة الناس إلى اتباعه، والاقتداء به، والاهتداء بهديه.

وقد جرت عادة المسلمين بإحياء هذه المناسبة في الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام، بالفعاليات المختلفة، وما يرافقها من الأنشطة الخاصة بالمناسبة، وتعليق الزينة على المآذن، وفي المساجد، والمنازل، والشوارع، وعلى قمم الجبال، وغير ذلك.

ويعدُّ إحياء ذكرى المولد النبوي الشريف نوعًا من التعظيم والتوقير لرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾[الفتح]، كما أنه تعبير عن الفرح والسرور بهذا اليوم، الذي شرّف الله البريّة فيه بخير مولود، وأعظم موجود، ألا وهو رسول الله محمد ﷺ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾[يونس].

النشاط

تعاون مع زملائك في إعداد إذاعة مدرسية متكاملة عن عظمة النبي ﷺ وحاجة الأمة في هذا العصر إلى الانشداد للنبي، وإحياء ذكرى مولده، وترسيخ عظمته وتوقيره، بما يعزّز معرفته والاقتداء به.

الأسئلة

١- ما الميثاق الذي أخذه الله على الأنبياء؟ وعلامَ يدل ؟

٢- اذكر اثنتين من الحوادث والإرهاصات التي اقترنت بمولد الرسول ﷺ.

٣- بيّن سبب غزو مكّة من قبل جيش أصحاب الفيل، وكيف كانت نهاية هذا الجيش؟

٤- ما العلاقة في المعنى بين الآيتين الكريمتين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء]، ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾[يونس:٥٨]؟

٥- ما الأهداف والغايات من إحياء ذكرى مولد النبي ﷺ ؟

حياة الرسول قبل البعثة

قال الله تعالى

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى].

شاءت إرادة الله تعالى أن يعيش رسول الله ﷺ يتيمًا، وقد تولّى الله تربيته، وحظي بالإعداد والرعاية الإلهية التي تهيئه لمسؤوليته الكبيرة، ودوره العظيم في حمل الرسالة الإلهية، وإنقاذ البشرية؛ فلم يتأثّر بالواقع الذي كان يعيش فيه، ولم يتدنّس بدنس الجاهلية، بل نشأ نشأةً فريدةً ومتميزة، فنمت بنموه وكبرت معه مكارم أخلاقه وحكمته ورشده.

الاصطفاء الإلهي للرسول ﷺ

رسول الله محمد ﷺ هو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، يتصل نسبه بنبي الله إسماعيل بن نبي الله وخليله إبراهيم عليهما السلام.

فقد اختار الله نبيه محمدًا ﷺ من خير أسرة في قريش، وهم بنو هاشم الذين يصل نسبهم إلى نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وقد نقله الله من الأصلاب الزاكية إلى الأرحام الطاهرة، كما قال هو ﷺ عن نفسه: «مَا وَلَدَتْنِي بَغِيٌّ قَطُّ»، حتى ولد ﷺ من أكرم أبوين في مكّة، هما: عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، وأمّه آمنة بنت وهب، وهذا مصداق لقول الرسول ﷺ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وكان أبوه عبدالله بن عبدالمطلب على دين الحنيفية ملّة نبي الله إبراهيم عليه السلام التي كان عليها أبوه عبدالمطلب وآباؤه الكرام.

وأمّا أمّه آمنة بنت وهب سيدة بني زهرة فكانت مؤمنة بالله؛ وقد ألهمها الله بشارات بحملها بخاتم النبيين، فصدقت وآمنت بوعد الله وقامت بحق هذا المولود حق القيام .

وفاة أمه آمنة

عاش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنوات عمره الأولى في كنف أمه آمنة، تغمره بحنانها، وتحنو عليه بعطفها، وكانت مثالًا للأم الحكيمة العاقلة الوفيّة.

وقد عزمت السيدة آمنة ذات يوم على السفر إلى يثرب؛ لزيارة قبر زوجها عبد الله الذي رحل عنها بعد أشهر قليلة من زواجهما، ودفن عند أخواله من بني النجار، فخرجت مع قافلة من قريش، وكان برفقتها جاريتها أم أيمن (بركة الحبشية)، واصطحبت معها وليدها الصغير محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الرحلة، وكان قد بلغ السادسة من عمره؛ ليعرف مكان قبر أبيه، وليتعرّف على أخوال أبيه من بني النجار.

وقد أقامت آمنة بعض الوقت في يثرب في ديار بني النجار، لكنّها عجّلت عودتها لمكة بعد خوفها عليه من بعض اليهود الذين رأوا فيه علامات النبوة، وفي طريق عودتها إلى مكة، في مكان يسمى (الأبواء) بين مكة والمدينة، أصابها المرض، وهناك وافاها الأجل.

وعاد نبي الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة مع حاضنته أم أيمن يتيم الأبوين، بعد أن فقد أمّه الطاهرة التي كانت له مصدر الحنان والعطف والرعاية، إلا أنه بقي بعين الله، تحفّه الرعاية الإلهيّة، والعناية الربّانيّة، التي لازمته طوال سنوات عمره.

كفالة جده عبد المطلب

انتقلت كفالة الرسول ﷺ بعد وفاة أمه آمنة بنت وهب، إلى جده عبد المطلب بن هاشم، الذي كفله وتولّى رعايته وتربيته.

ولأنّ عبد المطلب كان على علم ببشارات نبوّة حفيده محمد ﷺ، وكان يتوسّم فيه أنّه سيكون له شأن عظيم؛ لما كان يرى فيه من الصفات والملامح الظاهرة عليه، وما يرى من البركات والأحداث التي رافقته منذ ولادته، بالإضافة إلى البشائر والأخبار التي كانت تنبئ بمستقبله ونبوته، لذلك كان عبد المطلب شديد التعلّق بحفيده محمد ﷺ، يدنيه إليه، ويبالغ في تقريبه، ويحافظ عليه ويرعاه، ويقول لأولاده: "عليَّ بابني"، فيؤتى به، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فيأتي رسول الله ليجلس على فراش جده، فإذا أراد بعض أولاده أن يمنعه من ذلك، قال لهم: (دعوا ابني هذا، فو الله إن له لشأنًا).

كفالة عمه أبي طالب

لما بلغ النبي ﷺ سن الثامنة مرض جدّه عبد المطلب، ولمّا اشتد به المرض وأحس بدنو الأجل عَهِدَ إلى ولده أبي طالب بكفالة النبي ﷺ بعده، وكان قد تبادر أولاد عبد المطلب لكفالته، لكنه اختار أبا طالب ليقوم برعايته؛ لأنه كان أكثرهم معرفةً بعظمة شأن ابن أخيه، وأكثرهم حنانًا وعطفًا وحبًّا له من سائر أعمامه، وكان أكثرهم نُبلًا وكرمًا، وأعظمهم مكانة في قريش، وقد ورث زعامة قريش بعد أبيه عبد المطّلب.

انتقل النبي ﷺ بعد وفاة جده عبد المطلب إلى كفالة عمه أبي طالب، وقام أبو طالب برعايته خير رعاية، وأدّى الأمانة، وحفظ الوصيّة، وتولّى هو وزوجته فاطمة بنت أسد تربيته والاهتمام به، فكان أبو طالب يحوطه بعنايته ورعايته، ولا يفارقه في حَضَرٍ ولا سَفَر.

أما فاطمة بنت أسد فكانت ترعى رسول الله ﷺ أفضل رعاية، وتحوطه بعنايتها، وكان رسول الله يُجلّها طيلة عمرها، وكان يسميها (أُمّه)، وكانت أول من بايع رسول الله لما طلب البيعة من النساء، قال عنها رسول الله: «لَمْ يَكُنْ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ أَبرَّ بي منها».

رحلته مع عمه أبي طالب إلى الشام

شاء الله عزّ وجل أن يخرج رسول الله ﷺ ضمن قافلة قريش إلى الشام؛ ليكون على علم بشؤون التجارة، وليتعرّف على أحوال الناس، ويكون على خبرة بالحياة وشؤونها.

ومضت قافلة قريش متوجّهة نحو الشام، حتى إذا كانوا بأرض بُصرى - بين مكة والشام - أشرف راهب يقال له (بحيرى) من صومعته، وكان قد قرأ الكتب السابقة، وعرف منها زمن مبعث الرسول الخاتم وصفته، ونزلت القافلة عند شجرة قريبة من الصومعة، وبحيرى ينظر إليهم ويتأمّل في ملامح وصفات الغلام الذي معهم، وهو النبي ﷺ، فدعاهم إلى طعامه، فأجابوا.

وأخذ بُحَيْرى يلحظ النبي ﷺ، ويتأمّل في علاماتٍ قد كان يجدها عنده من صفته، فلما فرغوا من طعامهم اختلى (بحيرى) بأبي طالب، ثم سأل عن مكانة الغلام منه، فأخبره أنه ابن أخيه، وأن أباه توفّي وهو جنين في بطن أمه، فأخبره (بحيرى) بما سيكون من شأن ابن أخيه، وقال له : "احذر عليه معشر يهود، فو الله إن رأوه وعرفوه ليبْغُنَّه شرًّا".

فقطع أبوطالب رحلته، وعاد مسرعًا بابن أخيه إلى مكة، وزاد حبّه له وتعلّقه به وحرصه عليه.

مشاركته في بناء الكعبة

تعرّضت مكّة قبل البعثة لسيلٍ عظيمٍ تضرّرت منه الكعبة المشرفة، فتسابق العرب لنيل شرف إعادة بناء الكعبة، وتواصوا ألّا يُدخِلوا في بنائها مالًا حرامًا ولا كسبًا خبيثًا، وبنوها على أساس نبي الله إبراهيم عليه السلام.

وقد شارك رسول الله ﷺ في بناء الكعبة، فلما وصل الناس إلى موضع الحجر الأسود تنازعوا في من يضعه في مكانه، وبلغ بهم النزاع أشُدّه، حتى سُلت السيوف، وكادوا يقتتلون، فاتفقوا على أن يُحكِّموا بينهم أول داخل من باب الصفا، فأقبل منه رسول الله ﷺ، فقالوا جميعًا: (محمد الأمين، رضينا به حكمًا).

فأمر رسول الله ﷺ أن يؤتى بثوب، فبسطه، وأمر أن يوضع الحجر الأسود على الثوب، ثم طلب منهم أن يأخذ رأسُ كل قبيلة بطرفٍ من الثوب، ففعلوا ذلك، ورفعوه، حتى أوصلوه إلى حيث يريدون، ثم أخذ رسول الله ﷺ الحجر الأسود ووضعه في مكانه.

مشاركته في حِلْف الفُضُول

تعرّض رجل من زبيد لظلم رجل من قريش يُدعى: العاص بن وائل السهمي، فاستنجد بالناس، يدعوهم لإنصافه، فاجتمع عدد من رجال قريش في دار عبد الله بن جدْعان، وتعاقدوا على نصرته، وأن يكونوا عونًا لكل مظلومٍ على أي ظالمٍ، ثم مشوا إلى العاص فأرغموه على رد الحق للزبيدي، وسمّي هذا الحلف (حلف الفُضول).

وقد شارك الرسول ﷺ في هذا الحلف قبل مبعثه بالنبوة، وقال عنه بعد الهجرة إلى المدينة: «لَقد شَهِدتُ في دَارِ عَبدِاللهِ بنِ جدْعانَ حِلْفًا، مَا أُحِبُّ أَنَّ لي بِهِ حُمْرَ النَّعَم - أي العدد الكبير من الإبل - وَلو دُعيتُ إِلَى مِثلِهِ في الإسلامِ لَأَجَبْتُ».

خروجه للتجارة بمال خديجة

كان ﷺ في شبابه يعتمد على نفسه في الكسب والعمل والسعي وراء الرزق الحلال، وكان يرعى أغنامًا لعمه أبي طالب، وقد مارس التجارة في دائرة محدودة داخل مكة وخارجها، ومن ذلك مشاركته في التجارة بمال خديجة بنت خويلد، والتي كانت ذات مال كثير، وكانت تستعين بمن يخرج بمالها إلى الشام، وعندما سمعت بصدق الرسول ﷺ، وأمانته، وحسن خلقه، أرسلت إليه ليخرج بمالها إلى الشام.

ودخل رسول الله ﷺ في شراكة تجارية مع السيدة خديجة بنت خويلد، وخرج بمالها إلى الشام للتجارة مع غلامها ميسرة.

وقد وقعت لرسول الله ﷺ كرامات ومواقف عظيمة في رحلته تلك، رآها ميسرة بنفسه، ونقلها إلى مولاته خديجة.

زواجه من خديجة

كانت السيدة خديجة بنت خويلد حكيمة، شريفة في قومها، وقد رأت شرف الرسول ﷺ، وعفافه، وما كان عليه من صدقٍ وأمانةٍ وحسنِ خُلُقٍ، فأرسلت إحدى قريباتها إليه تعرض عليه أمر الزواج بها، فوافق على ذلك، وأخبر عمّه أبا طالب، فخطبها له، وأمهرها، وزُفت خديجة عروسًا إلى سيد بني آدم، وعمرها ما بين خمسٍ وعشرين إلى سبعٍ وعشرين سنة، وبهما تأسّس البيت النبوي المبارك.

النشاط

صمم مع زملائك لوحة تعريفية بالنبي ﷺ؛ تتضمن اسمه واسم أبيه واسم أمّه، وأسماء من كفله، وبعض صفاته ﷺ.

الأســـئلة

١- اذكر الحديث الذي يوضح الاصطفاء للنبي ﷺ.

٢- بيّن سبب خروج السيدة آمنة إلى يثرب واصطحاب ولدها محمد ﷺ معها في هذه الرحلة.

٣- كيف كانت رعاية أبي طالب لابن أخيه محمد ﷺ؟

٤- اذكر موقفًا يوضح ما كان يتميّز به الرسول ﷺ من الحكمة في شبابه.

٥- علّل لما يأتي:

أ- عهد عبد المطلب إلى ابنه أبي طالب بكفالة الرسول ﷺ بعده دون سائر إخوته.

ب- دعوة بُحَيْرى الراهب قافلة قريش إلى مأدبة طعام.

ج- طلبت السيدة خديجة الزواج من رسول الله ﷺ.

٦- اذكر نبذة تعريفية عن كل من الآتي ذكرهم: أم أيمن - فاطمة بنت أسد - عبدالله بن جدعان.

٧- علامَ يدل قول بحيرى الراهب لأبي طالب: (احذر عليه معشر يهود، فو الله إن رأوه وعرفوه ليبْغُنَّه شرًّا)؟

٨- ما المقصود بحلف الفضول؟ وعلام تدل مشاركة الرسول ﷺ في ذلك الحلف؟

صفـات الرســول

قال الله تعالى

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم].

يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقد اتصف رسول الله ﷺ بصفاتٍ عظيمة، وأخلاق كريمة، كان بها أهلًا لاصطفاء الله واختياره، وإعانته بما منحه من الرعاية العظيمة التي عززت فيه تلك الأخلاق، حتى بلغ أعلى صفات الكمال الإنساني، فالله لا يختار لهداية الناس إلا من كان مؤهلًا لحملها، وسنتعرّف في هذا الدرس على بعضٍ من صفات ومؤهلات رسول الله ﷺ.

أولًا: صفات الرسول ﷺ الخَلْقية

كان رسول الله ﷺ مكتمل الخَلْق، معتدل القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير، صبيح الوجه، فصيح اللسان، حلو الطباع، معتدل المزاج، وكان حلو المنطق، إذا تكلّم علاه البهاء، وإذا صمت علاه الوقار.

نظافته وطهارة جسده الشريف

كان رسول الله ﷺ شديد الاهتمام بالطهارة والنظافة، فلم يكن يماثله أحد في نظافة جسمه وملابسه وطيب رائحته، وكان نظيف الثوب، والبدن، واللباس، والمجلس.

وكان يغتسل في أغلب الأيّام، وكان يغسل يديه وفمه قبل تناول الطعام وبعده، وكان لا يترك السواك في أكثر أوقاته، وكان يداوم على الوضوء ليبقى على طهارة.

وكان ﷺ يتجمّل لأصحابه ويحثهم على النظافة والتجمّل، وعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ رأى رجلًا أشعث الرأس، فاستنكر ذلك ودعا لما يسكّن به شعره ويرتّبه، ورأى آخر عليه ثياب متسخة لغير ضرورة، فاستنكر ذلك أيضًا، وقال مرّةً لبعض أصحابه: «مَا لِي أَرَاكُم قُلْحًا؟!» والقلح هو الصفرة في الأسنان بسبب إهمال تنظيفها.

ثانيًا: أخلاق النبي ﷺ

نحن ندرس صفات رسول الله ﷺ لنعرف من خلالها ما كان فيه ﷺ من مؤهلات عظيمة لحمل رسالة الله، وكماله الإنساني والأخلاقي، وتأثيره الكبير، وقدراته الراقية، وكفاءته العالية، وعِظم اهتمامه بأمر الناس وحرصه على سعادتهم وصلاحهم، ودفع الشر عنهم حتى قبل بعثته الشريفة، وعظمة القيم والمبادئ التي كان يتحرك بها.

عُرِف رسول الله ﷺ بين قومه بمكّة بصدقه وأمانته، وكان مجانبًا لكل مساوئ أهل الجاهلية، وأفعالهم القبيحة، وعقائدهم الباطلة، ولم يأت منكرًا، ولم يؤثر عنه قبيحٌ قط.

وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس خُلُقًا، وأكرمهم عِشرة، وأحلاهم منطقًا، وأكملهم عقلًا، وأوسعهم صدرًا، وأزكاهم نفسًا، ويكفي في بيان عظمته شهادة رب العالمين له بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، وكان كما وصفه علي بن أبي طالب: (أجود الناس كفًّا، وأجرأ الناس صدرًا[1]، وأصدق الناس لهجةً، وأوفى الناس بالذمّة، وألينهم عريكةً[2]، وأكرمهم عشرةً، من رآه بديهةً هابه، ومن خالطه أحبه).

(١) أي شجاع لا يخاف.

(٢) أي ليّن الطبيعة واسع الصدر.

ولقد كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى في جميع أحواله، وكان في كل أموره صورة صادقة للدين الذي جاء به، في تعامله مع الأهل والجيران، ومع الأقارب والأباعد، ومع الأصدقاء والأعداء، على نحو ما وصفته أم المؤمنين عائشة، حين سُئلت عن خُلُقه، فقالت: (كان خُلُقهُ القرآن).

ومن مظاهر كمال النبي ﷺ، وعظيم أخلاقه، ما يأتي:

١- قول الصدق وحفظ اللسان:

كان رسول الله ﷺ مثالًا للصدق في الجد والهزل، وفي كل أقواله وأفعاله، فقد عُرف في قومه بالأمانة وقول الصدق، إذ لم يعثروا له على خيانة، ولا على كذب أو زلّة لسان، وشهد له بذلك القريب والبعيد، والعدو والصديق، ومن ذلك أنه لما نزل عليه قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء] خرج إلى الصفا يدعو قومه، ثم قال: «أَرَأَيْتُم إِنْ أَخْبَرْتُكُم أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الجَبَلِ، أَكُنْتُم مُصَدِّقِيَّ؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبًا - وفي رواية: ما جربنا عليك إلا الصدق، قال: «فَإِنِي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيْد».

وكان ﷺ أحرص ما يكون على صدق الوعد، والوفاء بالعهد، ولا يقول إلا حقًّا، ويحفظ لسانه عن الكذب، وعن المزاح إلاّ بحق، وكان ﷺ أبعد الناس عن الجهل وسوء الأخلاق، وعن المِراء، والفُحْش، والبَذَاء، والسِّباب، لم يكن فاحشًا، ولا متفحّشًا[1]، ولا لعّانًا، ولا صخّابًا[2]".

٢- أمانته ﷺ:

اشتهر رسول الله ﷺ بأمانته، وكان مثلًا أعلى في حفظ الأمانة، وأداء الحقوق لأربابها، وقد لقّب في قومه بالصادق الأمين، وكانوا يضعون عنده ودائعهم، ويأتمنونه على أموالهم.

(١) الفُحش والتفحُّش: قول الكلام الفاحش البذيء.

(٢) صخّابًا: يرفع صوته.

ومما يدل على عظيم اهتمام الرسول ﷺ بالأمانة: أنه استخلف عليَّ بن أبي طالب يوم الهجرة بمكة؛ ليرد الودائع التي عنده إلى أصحابها، في حين أنهم كانوا ما زالوا على شركهم، وكانوا يعادونه، وقد آذوه وأصحابه أشد الإيذاء، وأخرجوهم من مكة.

٣- رحمته ﷺ:

منَّ الله على الناس برسوله الكريم محمد ﷺ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وكان ﷺ فيضًا من الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، فكان ﷺ يقول عن نفسه: «أَيُّهَا النَّاس؛ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاة».

وبهذا الخلق العظيم كسب رسول الله ﷺ قلوب الناس، وحببهم إلى دين الله، حيث كان رحيمًا بهم، حريصًا على هدايتهم، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

٤- حِلْمه ﷺ:

الحلم والعفو عند المقدرة، صفاتٌ أدب الله عليها نبيّه ﷺ، فكان القدوة الحسنة والمثل الأعلى في الحلم، وكظم الغيظ، وسماحة النفس، وسلامة الصدر من الأحقاد والضغائن، يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ولا يزيده شدة الجهل إلّا حِلمًا، ومن الشواهد على ذلك أنه لمّا دخل الرسول ﷺ المسجد الحرام يوم فتح مكة، وجاءه أبو سفيان وغيره من رجالات قريش مستسلمين ينتظرون حكمه فيهم، قال ﷺ لهم: «مَا تَظنونَ أني فَاعِلٌ بِكُم؟» قالوا: أخ كريم، وابن أخٍ كريم، قال: «اذْهَبُوا فَأَنتُم الطُّلَقَاء».

٥- تواضعه ﷺ:

كان رسول الله ﷺ مع عزة نفسه وقوته أمام الطغاة، أبعدَ الناس عن الكبر، وأشدّهم تواضعًا، وألينهم عريكة، فقد كان ﷺ ليّن الجانب مع أهله وأصحابه وخدمه، يحادثهم، ويجلس فيهم كأحدهم، ويتألّفهم، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم.

وقد عُرف الرسول ﷺ بتواضعه في جميع أموره، يفتح الباب، ويحلب الشَّاة، ويطحن مع الخادم إذا أعيا، ويساعد أهله، ويأخذ حاجته بنفسه ويقول: «صَاحِبُ المتَاعِ أَولَى بِحَمْلِ مَتَاعِه».

٦- صبره ﷺ وشجاعته:

كان صبره ﷺ في سبيل الله بتحمل المعاناة لأجل الله ولاستنقاذ الناس، والصبر من موقع العمل وفي ميادين الحرب وساحات القتال يفوق صبر الصابرين، فكان أشجع الناس، وأربطهم جأشًا، وأعظمهم ثباتًا، ولقد فرّ عنه معظم أصحابه في أُحُد وفي حنين وهو ثابت في مكانه لم يتزحزح مع نفرٍ قليل ممن ثبتوا معه.

٧- كرمه ﷺ وجوده :

كان رسول الله ﷺ أكرم الناس، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة، ولقد كان ﷺ مضرب المثل في الكرم والجود، وكان النموذج الأكمل والأرقى في الإحسان، كيف لا؟ وهو من بذل عمره ونفسه لإنقاذ الناس وهدايتهم، وتحمّل المصاعب وخوض الحتوف سعيًا لإقامة القسط واستنقاذ البشرية من الظلم والضلال.

النشاط

في ظل قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم].

اكتب مقالًا تتحدث فيه عن عظمة أخلاق رسول الله ﷺ وكيف نقتدي بها اليوم؟

الأسئلة

١- لماذا ندرس صفات رسول الله ﷺ؟

٢- (**كان خلقه القرآن**)، اشرح هذه العبارة.

٣- تحدث باختصار عن:

أ- حِلم رسول الله ﷺ. ب- تواضعه. ج- صبره وشجاعته.

الفصل الدراسي الثاني

الدرس الأول
البعثة النبوية

الدرس الثاني
تبليغ رسالة الله إلى الناس

الدرس الثالث
أساليب المشركين في الصد عن الإسلام

الدرس الرابع
الهجرة إلى الحبشة

الدرس الخامس
عام الحُزن والخروج إلى الطائف

الدرس السادس
الإسراء إلى المسجد الأقصى

الدرس السابع
بيعتا العقبة

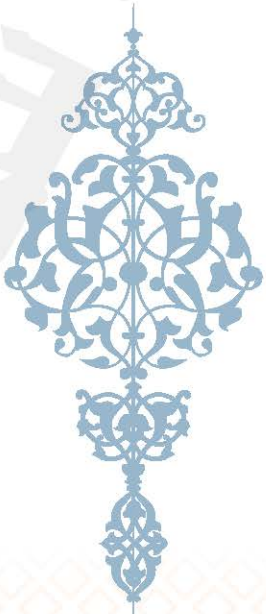

البعثة النبوية

قال الله تعالى

﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾ [الجمعة].

كان المجتمع البشري قبل البعثة يموج في لجج من الشرك، والفساد، والظلم، والانحراف، فقد غابت تعاليم الأنبياء، وتلاعب الملوك والأحبار والرهبان والكُهّان بالكتب والشرائع السماوية، وصارت الأصنام والأوثان آلهة تعبد من دون الله، وكان الناس على موعد مع بعثة النبي الخاتم سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فأزاح به الظلمات، وصحّح تلك الانحرافات، ومحا بمبعثه معالم الجاهلية ومفاسدها.

الإعداد الإلهي للنبي ﷺ

لقد هيأ الله سبحانه وتعالى نبيه محمدًا ﷺ لحمل الرسالة، فآواه، ورعاه، وأغناه، وهداه، وعلّمه، وكان ﷺ يمتلئ ضيقًا وغمًّا لما في الناس من ضلالٍ وجاهليةٍ وتخبُّطٍ وضياع، فيحمل هَمَّ الناس الذي أثقل كاهله، لذلك كان أحق الناس بأن يختاره الله قائدًا لمشروع هداية الله ورسالته، فشرح الله صدره باختياره للرسالة التي جاءت لإنقاذ الناس، قال تعالى:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣﴾ [الشرح].

فكان ﷺ قبل نزول الوحي عليه يحمل طعامه وشرابه، ويذهب إلى غار حراء[1]؛ ليخلو بنفسه، حيث يقضي الليالي والأيّام ذوات العدد يتعبّد الله تعالى، ويتفكر في المخلوقات، ويتأمّل في هذا الكون الفسيح في ظلمة الليالي، ويتطلّع إلى هدى يطمئن به القلب، وينقذ الناس مما هم فيه من ضلال وانحراف.

بدء نزول الوحي

لما أتم رسول الله ﷺ الأربعين من عمره - وبينما كان يتعبّد الله في غار حراء - نزل عليه جبريل الأمين عليه السلام بالوحي، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]

ولم يكن نزول جبريل عليه السلام مفاجئًا أو مُفزعًا لرسول الله ﷺ، فقد كان بمعرفته لله، وثقته بحكمته ورحمته، وبما رأى من البشارات، ينتظر اللحظة التي يأتيه فيها الوحي؛ لأنّ الله كان قد هيّأه لذلك الموقف بكثير من الإشارات والبشارات، ومنها ما روي أنّ النبي ﷺ لمّا قارب الأربعين من عمره، كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلّمَتْ عليه، وأنه ﷺ كان لا يرى رؤيا في منامه إلا جاءت مثل فَلَق الصبح.

وبعد أن بلغ النبي ﷺ سن الأربعين، جاءه الوحي من السماء، ورأى جبريل عليه السلام في أفق السماء قادمًا نحوه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير]، ثم إنّ جبريل عليه السلام سلّم على النبي ﷺ، وطمأنه، وأقرأه من الله السلام، وأبلغه أن الله قد بعثه خاتمًا للنبيين، ورسولًا إلى الناس أجمعين، وقرأ عليه آيات سورة الفاتحة، وعلّمه إيّاها، وعند البعض أن أول ما نزل من القرآن هي سورة (اقرأ).

وكان أول نزول الوحي في ليلة مباركة من ليالي شهر رمضان، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]،

(١) غار حراء: كهف صغير بأعلى جبل النور، وهو جبل في الشمال الشرقي من مكة، يبعد عنها بما يقرب من ثلاثة أميال، أي حوالي ٤ كم.

وقد سمّى الله عز وجل تلك الليلة التي بدأ فيها نزول الوحي بـ (ليلة القدر)؛ ويدل ذلك على فضل القرآن الكريم، وفضل ليلة القدر على سائر الليالي، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدخان].

موقف أم المؤمنين خديجة وعلي بن أبي طالب

بعد نزول الوحي على النبي ﷺ وتكليفه بالرسالة عاد الى أهله مستبشرًا مسرورًا بما أكرمه الله به من النبوة والرسالة، مطمئنًّا إلى المهمّة التي شرّفه الله بها، وأخبر زوجته السيدة خديجة بنت خويلد بالخبر، وأسمعها ما نزل عليه من الوحي، فآمنت به، وصدقت بما أنزل عليه.

وأخذت أم المؤمنين خديجة تشد من أزره؛ لمّا رأت تخوّفه من تكذيب قومه له، وإعراضهم عن اتباعه، فقالت له: (كلا والله، لا يُخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ[1]، وتُكْسِبُ المعدوم، وتُقْرِي الضيف، وتُعِينُ على نوائب الدهر).

وكذلك كان موقف علي بن أبي طالب الذي كان أول من صدّق بالنبي ﷺ مع أم المؤمنين خديجة، فهو لم يعبد صنمًا قطّ، وتربّى في كنف النبي ﷺ.

الدروس والعبر

١. النبوّة والهداية ليست بجهد الإنسان، لكن الله يصطفي لحملها أرقى النماذج البشرية ويمنحهم رعايته الخاصة لأدائهما.
٢. الزوجة الصالحة تعين زوجها على أمور دينه ودنياه.
٣. الصديق الوفي يشد أزر صديقه، ويعينه على نوائب الدهر.

(١) الكَلُّ: العاجز الذي لا يستقل بأمره، قال تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [النحل: ٧٦]، أي يعين الضعيف المنقطع.

الأســـئلة

١- أنقذ الله العالم ببعثة رسول الله ﷺ وضح ذلك .

٢- وضّح كيف كان بدء نزول الوحي على النبي ﷺ .

٣- متى كان نزول الوحي على النبي ﷺ ، وما أول ما نزل عليه من القرآن الكريم؟

٤- بيّن موقف أم المؤمنين خديجة من خبر نزول الوحي على النبي ﷺ .

٥- وضح ما تدل عليه الآيات الآتية:

أ- قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء].

ب- قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾ [الدخان] .

تبليغ رسالة اللّه إلى الناس

قال الله تعالى

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩﴾ [الأحزاب].

تبليغ رسالة الله هي مهمة جميع الرسل والأنبياء، وقد بُعث نبينا محمد ﷺ في قوم أُميّين، فاستطاع بما أهَّله الله به من العلم، وأنزل عليه من الوحي، وألهمه من الحكمة، أن يصل إلى قلوب الناس، ويعرّفهم دين الله، ويقيم عليهم الحجة، ويبطل ما هم عليه من كفر وضلال، وسنتعرّف في هذا الدرس على مراحل الدعوة، وموقف المشركين منها.

مرحلة الدعوة الفرديّة

مرّت الدعوة الإسلامية بمراحل تدريجية متصاعدة، فبدأ رسول الله ﷺ بحكمة ورعاية من الله ببناء وتوسيع النواة الأولى لحمل الرسالة، فعرض الإسلام على أهل بيته ومن حوله ممن يتوسّم فيهم الخير، ويغلب على ظنه أنه سيؤمن به، فأجابه قليل ممن هداهم الله للإيمان، وفي مقدمة أولئك زوجته خديجة بنت خويلد، وابن عمه علي بن أبي طالب، الذي تولّى تربيته، ثم مولاه زيد بن حارثة، وأبو بكر بن أبي قحافة، وتبعهم عمّار بن ياسر العنسي، وأبوه ياسر، وأمه سُميّة، وبلال بن رباح الحبشي، وعثمان بن عفان، وعبدالله بن مسعود، والأرقم بن أبي الأرقم، وقوم آخرون، حتى قارب عددهم الأربعين.

وكان رسول الله ﷺ، يجتمع بهم، يُعلّمهم القرآن، ويرشدهم إلى الدين الحق في دار الأرقم بن أبي الأرقم، دون أن يعلم أحد من قريش بأمره، وكانوا يخرجون للصلاة والعبادة في شعاب مكة البعيدة، يستخفون فيها عن الأنظار.

وقد استمرت مرحلة الدعوة الفردية في مكة ثلاث سنوات، وكانت هذه المرحلة بمثابة إعداد نفسي، وتربية روحية جهادية لتلك الصفوة المؤمنة، وبناء لهم ليواجهوا التحديات التي تنتظرهم مستقبلًا.

مرحلة الدعوة العامّة

بتوجيه من الله سبحانه انتقل رسول الله ﷺ إلى هذه المرحلة بدعوة الأقربين من عشيرته وقومه، فبعد أن نزل على النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]، جمع قومه من بني هاشم، وأمر عليًّا أن يعدّ لهم طعامًا، فتناولوا طعامهم، ثم انصرفوا، ولم يكلمهم بشيء.

ثم دعاهم الرسول ﷺ في اليوم الثاني إلى مثل ذلك الطعام، وبعد أن انتهوا من طعامهم قام فحمد الله تعالى، ثم قال: «إِنَّ الرَائِدَ لَا يكذبُ أَهلَه واللهِ الَّذِي لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِليكُم خَاصّةً، وَإِلى الناسِ عَامَّةً، وَاللهِ لَتموتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، ولَتُبعثُنَّ كَما تَستيقِظُونَ، وَلَتُحاسبُنَّ بِمَا تَعمَلُون، وإِنَّها الجَنَّةُ أبدًا أوِ النَّارُ أبدًا».

فقال أبو طالب: (ما أَحَبَّ إلينا لمعاونتك! وأَقْبَلَنا لنصيحتِك! وأَشَدَّ تصديقَنا لحديثك! وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أني أسرعهم إلى ما تحب).

ثم قال أبو لهب: "هذه والله السوءة[1]، خذوا على يديه قبل أن يأخذه غيركم[2]"، فردَّ أبو طالبٍ على أبي لهبٍ بقوله: "والله لَنَمْنَعَنَّهُ[3] ما بقينا".

(١) السوءة: الفضيحة.
(٢) أي امنعوه قبل أن يعتدي عليه غيركم.
(٣) أي ندافع عنه ونمنع عنه الأعداء من أن ينالوا منه.

دعوة قريش على جبل الصفا

بعد دعوة النبي ﷺ لعشيرته الأقربين، جاءه الأمر من الله سبحانه أن يجهر بالدعوة، ويواجه قريشًا وسائر العرب بأمر الرسالة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر]، وقال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤﴾ [الحجر].

وتنفيذًا لتلك التوجيهات قام رسول الله ﷺ على جبل الصفا في مكّة، ثم جعل ينادي بطون قريش بطنًا بطنًا، فأقبل الناس واجتمعوا إليه، ثم قال ﷺ: «أَرَأَيتُم لَو أخبرتُكُم أَنَّ خَيلًا بِسَفحِ هَذَا الجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغيرَ عَلَيْكُم أَكُنتُم مُصَدِّقِيَّ؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال ﷺ: «فَإِنِّي نَذيرٌ لَكُم بَينَ يَدَيْ عَذَابٍ شَديدٍ»، ثم قال ﷺ: «يَا مَعشَرَ قُرَيشٍ، أَنقِذُوا أَنْفُسَكُم مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَملِكُ لَكُم مِنَ اللهِ شَيئًا، إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُنذِرَكُم مِنْ عِقَابِهِ، وَإِنِّي لَا أَملِكُ لَكُم مِنَ الدُّنْيَا مَنفَعَةً، وَلَا مِن الآخِرَةِ نَصِيبًا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

فقام أبو لهب فقال: تبًّا لك، أَلِهَذا جَمَعْتَنَا؟

ولهذا الدور السلبي المحارب لدين الله من أبي لهب نزلت فيما بعدُ سورةُ (المسد) فيه وفي زوجته أم جميل بنت حرب، وعيدًا لهما ولكل من يحارب دعوة الله ورسالته.

موقف قريش من الدعوة إلى الإسلام

وقف زعماء قريش وكبراؤها ضد رسالة الله، حين رأوا فيها تحريرًا للناس من هيمنتهم وباطلهم، لذلك ثار أولئك الطغاة المستكبرون من قريش في وجه الدعوة، وأخذوا يعادون الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين المستضعفين، ويصدّون عن الإسلام، ويقفون في مواجهة الدعوة بكل ما أوتوا من قوّة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠﴾ [الجن].

وقف المشركون موقف التكذيب بالوحي والرسالة، ولأنهم كانوا قد أدركوا أنّ للقرآن الكريم تأثيرًا كبيرًا في النفوس، فقد عملوا على الحيلولة بين الناس وبين سماع القرآن، وحاولوا التشكيك في القرآن والرسول، وإثارة الشبهات حوله؛ ليصرفوا الناس عن سماع آياته، بجملة من الأساليب، ومن ذلك ما يأتي:

١- كان المشركون يتواصون بعدم سماع القرآن، ويمنعون أبناءهم وشبابهم عن سماعه.

٢- وصفوا القرآن الكريم بأنه أساطير الأولين، وادّعوا أنّ الرسول ﷺ إنما يتلقّى آيات القرآن من بعض رهبان أهل الكتاب، وقد أبطل الله أكاذيبهم، وفنّد شبهاتهم، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾ [الفرقان].

٣- التشويش عند تلاوة النبي ﷺ للقرآن الكريم، ومحاولة صرف الناس عنه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ۝٢٦﴾ [فصلت] .

٤- عقدوا مجالس لحكاية أيّام العرب، وأخبار الأمم والملوك، ورواية الأشعار والقصص، والأساطير، وجلب المغنين والمغنيات من العبيد والجواري؛ لصرف الناس عن سماع النبي ﷺ، والاستماع للقرآن الكريم، ولإلهائهم عما يجب أن يهتموا به ويتحركوا فيه.

ومن ذلك ما فعله النضر بن الحارث، فقد عقد مجلسًا يحدّث فيه الناس، ويقص عليهم القصص والحكايات، ويقول: أنا أحسن حديثًا من محمد، واستأجر مغنّية تغني في مجلسه بحُجّة الترفيه على شباب مكة، ولأنه أسلوب يكرره الطغاة في كل العصور، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦﴾ [لقمان].

دعوة القبائل العربية إلى الإسلام

لم يقف الرسول ﷺ عاجزًا نتيجة عناد قومه من قريش ورفضهم الاستجابة لدعوته، وإنما مضى في طريق الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالة الله إلى الناس، واثقًا بتأييد الله له، وبأنّ الله سيتم نوره.

وقد اتجه رسول الله ﷺ نحو قبائل العرب الوافدين إلى مكّة؛ يلتمس استجابتهم للإسلام، فكان يلتقي بهم في مواسم الحج، وفي الأسواق التجارية، ويغشى مجالسهم، وكان يقول لهم ﷺ: «هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحمِلُنِي إِلَى قَومِهِ فَيُعِينُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي؟ فإِنَّ قَومِي مَنَعُونِي مِن أَنْ أُبَلِّغَ رَسَالَةَ رَبِّي».

وقد كان رسول الله ﷺ أتى مجالس كِنْدَة، وفُزارة، وبني حنيفة، وبني عامر، وغيرها من القبائل العربية، فلم يكونوا يقبلون منه ما عرضه عليهم.

ورغم كل تلك المواقف الرافضة لقبول الحق واتباعه، فقد ظل رسول الله ﷺ يتنقل بين القبائل العربية القادمة إلى مكة في مواسم الحج وفي أسواقها المشهورة، وما كان يسمع عن قادم يقدم إلى مكة من العرب إلا وذهب إليه يدعوه إلى الإسلام .

وفي حركة الرسول ﷺ ومحاولة التقائه بالناس والذهاب إلى مجالسهم، درس مهم، وهو أنه يجب على المسلم أن يهتم بأمر الدين، وأن يحمل هم الدعوة إلى الله، فيحرص على هداية الناس إلى طريق الحق والخير، ويستخدم في سبيل ذلك كل الوسائل المتاحة، والطرق الممكنة، دون كلل ولا ملل، ودون يأس ولا إحباط.

الدروس والعبر

١. المهمّة التي جاء من أجلها الرسل والأنبياء هي تبليغ رسالة الله، وقيادة الناس في إقامة القسط في الحياة.

٢. التدرّج والمرحلية في الدعوة الى الله مهمةٌ جدًا لنجاح الدعوة، واكبها القرآن بالتوجيهات اللازمة.

٣. الدعوة إلى دين الله تعالى تحتاج إلى جِدٍّ وعمل وحكمة وتنوع في الأساليب .

النشاط

قم مع زملائك بإعداد وتنفيذ حلقة نقاشية عن أساليب قريش في الصد عن رسالة الله وما يشابهها من أساليب الطغاة في هذا العصر.

الأســـئلة

١- **ما الذي فعله الرسول ﷺ عند نزول قوله تعالى:** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]؟

٢- **من القائل وما المناسبة: "إن الرائد لا يكذب قومه"؟**

٣- **ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (✗) أمام العبارة الخطأ فيما يأتي:**

أ- كانت مرحلة الدعوة الفردية ثلاث سنوات. ( )

ب- استجابت قريش لدعوة الرسول ﷺ عند جبل الصفا. ( )

ج- بدأت مرحلة الدعوة العامّة بعدنزول سورة المدثر. ( )

د- اتجه الرسول ﷺ نحو قبائل العرب الوافدين إلى مكّة يدعوهم إلى محاربة قريش. ( )

الدرس الثالث

أساليب المشركين في الصد عن الإسلام

قال الله تعالى

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت].

شعرت قريش أنّ الرسالة الإلهيّة تهدّد هيمنتهم، وتضع حدًّا لنفوذهم؛ لذلك استخدموا وسائل وأساليب متعدّدة للصد عن دين الله، والحد من انتشار الدعوة، والتي من أهمها ما يأتي:

١- أسلوب طلب المستحيلات

تعنّت المشركون في قبول الدعوة، بطلب المعجزات، كشرط للإيمان برسول الله ﷺ والاستجابة لدعوته، فطلبوا منه أن يصعد إلى السماء وينزل لهم كتابًا يقرأونه، أو أن ينزل الملائكة، أو أن يسيّر لهم الجبال، ويُفجّر لهم الأنهار، وغيرها من المعجزات، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾ [الإسراء].

٢- أسلوب السخرية والتشويه

سعت قريش لصدّ الناس عن اتباع الدين، والاستجابة للدعوة، من خلال استهداف شخص الرسول ﷺ، بالاستهزاء به، والسخرية منه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ [الفرقان] .

واستخدموا إلى جانب ذلك الحرب الإعلامية، وترويج الإشاعات الكاذبة، فقالوا عنه: ساحر، وكاذب، وكاهن، وشاعر، ومجنون، وغير ذلك من الصفات التي كانوا يروّجونها في أوساط العرب الوافدين إلى مكّة، إلاّ أنّ محاولات التشويه تلك فشلت، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾ [ص].

٣- أسلوب المساومة

بلغ بثبات النبي ﷺ على مبادئ الحق إلى مستوى أن يتمنى أولئك الطغاة منه بعض التراجع البسيط والمداهنة معهم، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم]، ولأنهم لم يستطيعوا إيقاف الدعوة إلى الإسلام بأسلوب التشويه، والسخرية، وإلقاء الأكاذيب والتهم الباطلة على الرسول ﷺ، فقد لجأوا إلى التفاوض مع أبي طالب ليتخلّى عن حمايته للرسول ﷺ، ويمنعه من مواصلة الدعوة.

وقد قالوا لأبي طالب في أول الأمر: "إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإمّا أن تكفّه عنا، وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه"، فردهم أبو طالب، وانصرفوا عنه.

وبعد ذلك لجأوا إلى أسلوب التهديد، وعدم المهادنة، فجاء بعض كبار قريش إلى أبي طالب فقالوا له: "يا أبا طالب، إن لك سنًّا وشرفًا ومنزلة فينا، وإنا كنا قد استنهيناك عن ابن

أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه آرائنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين".

فوعدهم أبو طالب أن يبلّغ ابن أخيه موقفهم، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره بما قاله زعماء قريش، فقال ﷺ: «واللهِ يَا عَمّ لَو وَضَعُوا الشمسَ فِي يَمِيني، وَالقَمَرَ فِي يَسارِي، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأمرَ مَا تَرَكْتُهُ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ، أَو أَهلَكَ دُوْنَه».

وفي المرّة الثالثة عرضوا على أبي طالب أن يعطيهم محمدًا ﷺ، ويعطوه فتًى من أحسن فتيان قريش، فقال موبّخًا لهم: "لبئس ما تساومونني عليه!!، أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني لتقتلوه؟! هذا والله لا يكون أبدًا".

٤- أسلوب الترغيب والإغراء

لجأ المشركون إلى أسلوب الترغيب والإغراء، فأرسلوا عتبة بن ربيعة لمفاوضة النبي ﷺ، فجاء إليه، وقال: "يا ابنَ أخي إن كنتَ تريد من هذا الأمر مالًا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد شرفًا سوّدناك علينا، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رِئْيًا (أي: مسًّا من الجن) لا تستطيع ردّه بذلنا من أموالنا حتى تبرأ منه".

فقال له النبي ﷺ: «أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الوَلِيد؟» قال: نعم، قال: «فَاسْمَعْ مِنّي»، فتلا عليه أوائل سورة (فصلت) ثم قال: «قَدْ سَمِعتَ يَا أَبَا الوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فأنتَ وذَاك»، فعاد عتبة إلى مجلس قريش بوجه متغيّر، فقالوا له: ما وراءك يا أبا الوليد؟! قال: "قد سمعُت قولًا، والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فو الله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم"، فقالوا: سَحَرَك يا أبا الوليد، قال: "هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم".

٥- أسلوب الترهيب والإيذاء

بعد أن عجزت قريش عن إجبار الرسول ﷺ على التخلّي عن الدعوة، لجأوا إلى الإيذاء، والتعرّض له بالاعتداء من قبل سفهاء قريش وزعمائهم، كأبي جهل، وأبي لهب، والأخنس بن شريق، وعقبة بن أبي مُعَيط، وغيرهم.

وكانت امرأة أبي لهب- أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان- تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ وعلى بابه، وقد سماها القرآن (حمّالة الحطب).

قال رسول الله ﷺ: «مَا أُوْذِيَ نَبِيٌّ مِثلَمَا أُوذِيْتُ».

وقد قابل رسول الله ﷺ كل ذلك الإيذاء بالعزم القوي، واستمر في الدعوة إلى الله بهمّة عالية، مستعينًا بالله، ومتوكّلًا عليه، وأمام صلابة الرسول ﷺ وثقته بنصر الله وتأييده، باءت كل محاولات المشركين بالفشل الذريع.

٦- تعذيب المسلمين الأوائل في مكة

بدأت قريش في اتخاذ أسلوب آخر للصد عن دين الله، فعملوا أولًا على السخرية من المسلمين الأوائل، والاستهزاء بهم، ووصفهم بالضلال ونحوه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢﴾ [المطففين].

وبعد ذلك اتخذ المشركون سياسة التعذيب والتنكيل بالمؤمنين المستضعفين الذين لا عشيرة لهم تحميهم من قسوة قريش وطغيانها، كوسيلة ضغط لإرغامهم على ترك الإسلام.

ومن ذلك ما فعله أميّة بن خلف، فقد كان أميّة يضع في عنق بلال بن رباح حبلًا، ثم يشده شدًّا ويضربه بالعصا، وكان يمنع عنه الطعام، ويخرجه في وقت الظهيرة فيطرحه في بطحاء مكة في حرِّ الشمس في الرمال المحرقة، ويأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره،

وبلال يردّد عبارة: (أَحَدٌ أَحَد)، وبقي بلال على هذا الحال حتى اشتراه أبوبكر من أمية بن خلف وأعتقه .

ومن ذلك أيضًا ما تعرّضت له أسرة عمّار بن ياسر، وكان أبوه ياسر العنسي اليماني قد أسلم، وأسلم ابنه عمّار، وزوجته سُميّة، فكان المشركون يخرجونهم إلى الأبطح ويعذبونهم في حرّ الرمضاء، فاستشهد ياسر من أثر التعذيب، وكان أول شهيدٍ في الإسلام، وطعن أبو جهل سُميّة بحربة، فكانت أول شهيدة في الإسلام، وكان النبي ﷺ يمر بآل ياسر وهم يُعَذَّبون، فيقول: «صَبرًا آلَ يَاسِر فإنَّ مَوعِدَكُم الجَنَّة».

وممن تعرّض للتعذيب من المسلمين الأوائل المستضعفين بمكة: عبدالله بن مسعود، ومصعب بن عمير، وصهيب الرومي، وغيرهم.

٧- أسلوب الحصار والمقاطعة

فشلت كل أساليب المشركين أمام ثبات النبي ﷺ، ولم تستطع ثنيه عن أداء رسالته، فقرّرت قريش استخدام وسيلة الحصار كعقاب جماعي، يهدف إلى تراجع النبي ﷺ عن دعوته، وإرغام بني هاشم لتسليمه إليهم ليقتلوه، أو القضاء عليهم جميعًا بالموت جوعًا وعطشًا.

فكتب المشركون وثيقة اتفقوا فيها على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب، وتعاهدوا فيها على ألَّا يتزوجوا منهم ولا يزوّجوهم، ولا يبتاعوا منهم ولا يبيعوهم، ولا يجتمعوا معهم على أمر، وأن يكونوا يدًا واحدة على الرسول ﷺ ومن معه، ثم علّقوا تلك الوثيقة داخل الكعبة، واستمر الحصار والمقاطعة في شعب بني هاشم ثلاث سنوات.

وبعد السنوات الثلاث وقف ثلاثة من رجال قريشٍ رافضين ذلك الوضع، وأعلنوا نقض الصحيفة وإلغاءها، وذهبوا إلى الكعبة لنقض الصحيفة فوجدوها قد أكلتها الأَرَضَة، وأعلنوا إلغاء تلك الوثيقة والحصار، وخرج رسول الله ﷺ من ذلك الحصار ظافرًا منتصرًا.

مواجهة تحديات قريش

اتبع الرسول ﷺ في مواجهة قريش الخطوات الآتية:

١- رفض كل أساليب المساومة والضغوط، واستمر في الدعوة، والصبر والثبات على الأذى والتحديات.

٢- اللقاء بكل الأفراد والجماعات التي تأتي إلى مكة، وعَرْض الإسلام على كل من أتى، باحثًا عن أنصارٍ لدين الله.

٣- توسيع دائرة الدعوة إلى خارج مكة، وأمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة وخرج ﷺ إلى الطائف، لعله يجد مجتمعًا يحتضن دين الله وينصره.

عوامل الصبر والثبات

ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثلة في الصبر والتضحية من أجل دين الله، وفي الثبات على الحق، رغم ما أصابهم من الإيذاء والتعذيب، وبالرغم من كل تلك القسوة والشدة التي تعاملت بها قريش معهم إلا أن كل ذلك لم يصدّهم عن دين الإسلام، وإنّما صبروا وثبتوا، وكانوا مثلًا أعلى في الصبر من أجل دين الله مهما كانت التضحيات.

ومن أهم العوامل التي ساعدت على ذلك، ما يأتي:

١- الإيمان القوي بالله، وثقتهم المطلقة به سبحانه وتعالى.

٢- الإيمان باليوم الآخر، ورغبتهم فيما أعدّ الله للمؤمنين الصابرين المجاهدين في سبيله.

٣- القيادة الرشيدة الحكيمة، المتمثلة بالرسول ﷺ.

٤- القرآن الكريم ومواكبته لكل ذلك بما يلزم من الهدى والتثبيت والتنوير.

٥- ولاؤهم الصادق، وتسليمهم المطلق لله ولرسوله ﷺ.

٦- تصديقهم بوعد الله تعالى، الذي وعد به عباده المؤمنين بالنصر والتأييد.

٧- الشعور بالمسؤولية تجاه الإسلام ومقدساته.

الدروس والعبر

١. ضرورة الصبر في سبيل تبليغ الرسالة، وعدم اليأس من هداية الناس.

٢. يبذل الأعداء كل الوسائل في سبيل محاربة الإسلام والصد عن دين الله .

٣. يعمل الأعداء في كل زمان على تشويه الدين للحيلولة بين الناس وبين الاستجابة له.

النشاط

اكتب موضوعًا تقارن فيه بين أساليب الأعداء لحصار الرسول ﷺ ومن معه، وأساليب الأعداء في حصار الشعب اليمني، والشعب الفلسطيني.

الأســـئلة

١- اذكر بعض الأمور المستحيلة التي طلبها المشركون من النبي ﷺ تعنُّتًا وعنادًا.

٢- استخدم المشركون الحصار والمقاطعة للصد عن دين الإسلام، وضح ذلك.

٣- اذكر باختصار أساليب التعذيب التي تعرّض لها بعض الصحابة الأوائل ﷺ.

٤- علّل ما يأتي:

أ- لجأ المشركون إلى التفاوض مع أبي طالب.

ب- قرّر مشركو قريش مقاطعة الرسول ﷺ ومن معه في شعب بني هاشم .

٥- من القائل، وما المناسبة؟:

أ- (صَبرًا آلَ يَاسِر فإنَّ مَوعِدَكُم الجَنَّة).

ب- (أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني لتقتلوه؟!).

٦- اذكر أربعة من العوامل التي ساعدت المسلمين الأوائل على الصبر والثبات في مكة.

الدرس الرابع

الهجـرة إلـى الحبشـة

قال الله تعالى

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة].

بعد أن اشتد إيذاء كفار قريش للمسلمين أصبحوا يتطلعون إلى مخرج وفرج من الله يحفظ لهم دينهم، ويبعدهم عن بطش الكافرين، فأذن الله لهم بالهجرة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر].

مفهوم الهجرة في الإسلام

الهجرة: هي انتقال المسلم من بلد يخاف فيه على نفسه أو دينه، إلى بلد آخر يأمن فيه على نفسه ودينه، ويتمكن من أداء شعائر الدين، والعمل بأحكامه.

وقد أوجب الإسلام الهجرة على المسلم الذي يخاف الفتنة في بلد الكفر وهو قادر على الهجرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء].

الإذن بالهجرة إلى الحبشة

حاول مشركو قريش بشتّى الوسائل صد الناس عن دين الله، واستخدموا كل الوسائل لإرغام من دخل في الإسلام على العودة إلى الشرك وعبادة الأصنام.

وقد ازدادت معاناة المؤمنين المستضعفين بمكّة يومًا بعد يوم، وتعرّضوا للإيذاء، والتعذيب، والملاحقة المستمرّة من قبل كفار قريش، فجاء الإذن من الله تعالى لهم بالهجرة من مكّة إلى مكان آخر يأمنون فيه على أنفسهم، ويتمكّنون فيه من إقامة شعائر الإسلام بحريّة وطمأنينة، فأذن رسول الله ﷺ للمسلمين بالهجرة؛ واختار لهم أرض الحبشة البعيدة عن الجزيرة العربية، قائلًا لهم: «إنَّ في أرضِ الحبشةِ مَلِكًا لَا يُظلَم عندَه أحدٌ، فالحقُوا ببلادِهِ حَتَّى يجعلَ اللهُ لكمْ فَرَجًا ومَخْرَجًا ممّا أنتم فيه».

وقد استجاب عدد من المسلمين الأوائل للهجرة إلى الحبشة، للأسباب الآتية:

١- عدم تمكّن المسلمين المستضعفين بمكّة من إظهار دينهم وأداء عبادتهم بحريّة.

٢- الخوف من استئصال المسلمين بمكّة مع قلّتهم، أو أن يُفتنوا في دينهم، نتيجة اشتداد وطأة التعذيب التي كانوا يتعرّضون لها.

٣- إيجاد مكان آمن يأمن فيه المسلمون على أنفسهم، ويتمكنون فيه من إقامة شعائر الإسلام بحرية، بعيدًا عن أذى قريش واضطهادها.

٤- نشر الإسلام، والتعريف به خارج الجزيرة العربية.

الأمر الذي يعني أنه كان لهذا القرار الحكيم أثره الكبير في إنقاذ المؤمنين من جبروت قريش وطغيانها، وفي المحافظة على الدعوة واستمرارها.

الهجرة الأولى إلى الحبشة

خرج أول فوج من المسلمين المهاجرين من مكّة متوجّهين نحو الحبشة بأمر من رسول الله ﷺ، وكان ذلك في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة النبوية.

وكانوا قد خرجوا متسلّلين، منهم الراكب، ومنهم الماشي، حتى وصلوا إلى البحر الأحمر، فركبوا سفينتين حَمَلتَاهم إلى أرض الحبشة، وخرج بعض رجال قريش في إثْرهم، فلم يدركوهم.

وواصل المهاجرون رحلتهم حتى وصلوا أرض الحبشة، وطلبوا الإذن من ملك الحبشة فأذن لهم، وأقاموا لديه بخير جوار، وكانوا اثني عشر رجلًا وأربع نسوة، فيهم جعفر بن أبي طالب، وعثمان بن عفّان.

موقف قريش من هجرة المسلمين إلى الحبشة

مثّل خروج المؤمنين المهاجرين من مكّة وإفلاتهم من قبضة قريش صدمة قويّة لقريش، وقد عزّ عليهم ما بلغهم من استقبال النجاشي للمهاجرين، وما أبداه لهم من الرعاية وحسن الجوار في بلاده.

لذلك عقد زعماء قريش اجتماعًا طارئًا في دار الندوة للتشاور في الأمر، وقرّروا أن يرسلوا من يعيد أولئك المهاجرين إلى مكّة، واختاروا لهذه المهمّة عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، وبعثوا معهما هدايا عظيمة إلى النجاشي وبطارقته.

وفي أرض الحبشة بدأ عمرو بن العاص وصاحبه في تنفيذ المهمّة، فالتقيا بالبطارقة أولًا، وقدمّا لهم الهدايا العظيمة، وطلبا منهم إقناع الملك النجاشي بتسليم المهاجرين إليهما لإرجاعهم إلى مكّة، فوافق البطارقة على الأمر، وتوجّهوا معهما إلى مجلس النجاشي.

جعفر بن أبي طالب في مجلس النجاشي

وفي مجلس النجاشي قدّم عمرو بن العاص وصاحبه الهدايا العظيمة للنجاشي، وقالا له: "أيها الملك، إنه قد قدم إلى بلدك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم".

فأشار عليه البطارقة أن يسلّمهم إليهما، ليردّوهم إلى قومهم، فقال النجاشي: "لا أسلمهم إليهما، وقد جاوروني ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم"، وطلب النجاشي إحضار المهاجرين إلى مجلسه، فحضروا، فقال النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟!

فتقدّم جعفر بن أبي طالب وكان هو المتكلم عن المسلمين فقال : (أيها الملك، كنّا قومًا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام...) ـ وعدّد عليه عددًا من أمور الإسلام - إلى أن قال : (فصدّقناه، وآمنّا به، واتّبعناه على ما جاءنا به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، فلمّا قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك).

فقال النجاشي لجعفر: هل معك مما جاء به رسولكم عن الله من شيء؟ قال جعفر: نعم، ثم قرأ صدر سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلّت لحيته، وبكت أساقفته، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: "إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة". والتفت إلى رسولي قريش قائلًا: "انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادون"، وخرج عمرو بن العاص وصاحبه من مجلس النجاشي يجرّان أذيال الخيبة والفشل.

فشل رسولَي قريش في رد المهاجرين

في اليوم التالي دخل عمرو بن العاص وصاحبه على النجاشي بمكيدة على المسلمين المهاجرين، فقال عمرو للنجاشي: "أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولًا عظيمًا"، فأرسل النجاشي إلى المهاجرين ليتحقّق من الأمر، فلمّا دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في المسيح عيسى بن مريم؟، فقال جعفر: (نقول: هو عبد الله ورسوله، وروحٌ منه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء)، فأخذ النجاشي عودًا من الأرض، ثم قال: "والله ماعدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود"، ثم التفت إلى المهاجرين فقال: "اذهبوا فأنتم الآمنون، من سبّكم غرِم، ما أحب أن لي جبلًا من ذهب وأني آذيت رجلًا منكم"، ثم أمر حاشيته بإرجاع هدايا قريش، وخرج عمرو وصاحبه من مجلس النجاشي منكسرَيْن، وعادا إلى مكة خائبَيْن.

الهجرة الثانية إلى الحبشة

أقام المسلمون عند النجاشي بخير دار مع خير جار، وتمكّن المسلمون المهاجرون من إقامة شعائرهم، والدعوة إلى الله في بلاد الحبشة بأمن وأمان.

وفي رمضان من نفس العام - وهي السنة الخامسة من البعثة النبوية - وصل إلى مسامع المهاجرين أن أهل مكّة أسلموا جميعهم، فقرّروا العودة إلى مكّة، فعادوا في شهر شوال، وما إن اقتربوا من مكّة حتى تأكّد لهم بأن ما بلغهم كان مجرد إشاعة كاذبة، فرجع بعضهم إلى الحبشة، ودخل آخرون مكّة متخفّين، أو في جوار أحد من قريش.

ثم إنّ أولئك النفر ممن دخلوا مكّة قرّروا الرجوع إلى الحبشة، واصطحبوا معهم من رغب من إخوانهم المسلمين، وخرجوا معًا مهاجرين إلى الحبشة، وكانوا نيفًا وثمانين رجلًا، وتسع عشرة امرأة، على رأسهم جعفر بن أبي طالب، ومصعب بن عُمير، وعبدالله بن مسعود، وغيرهم.

وكانت الهجرة هذه المرة أشق من سابقتها، فقد تيقّظت لها قريش وقرّرت إحباطها، غير أن المسلمين كانوا أسرع، ويسّر الله لهم السفر، فانحازوا إلى نجاشي الحبشة قبل أن تدركهم قريش.

الدروس والعبر من الهجرة إلى الحبشة

١. الحفاظ على الدين مقدّم على المال والأرض.
٢. الهجرة تربية للمؤمنين على الصبر والتضحية في سبيل الله.
٣. الهجرة فرصة للمسلمين لنشر الدعوة الإسلامية.
٤. من واجب المسلم بذل الجهد في خدمة دينه وأمته.
٥. الصراع بين الحق والباطل قائم ومستمر في كل زمان ومكان.

النشاط

الصراع بين الحق والباطل أمر لا بد منه، والنصر للحق وأهله.

وردت بهذا المعنى آيات في أول سورة (الأنفال) [١-١٠] ابحث عن الآيات الدالة على ذلك واكتبها في دفترك.

الأســـئلة

١- ما مفهوم الهجرة في الإسلام؟

٢- اذكر أسباب الهجرة إلى الحبشة .

٣- لماذا قرّر المهاجرون في الحبشة العودة إلى مكّة؟

٤- قرّر زعماء قريش أن يرسلوا من يعيد المسلمين المهاجرين في الحبشة إلى مكّة:

أ- من هما المبعوثان اللذَان اختارتهما قريش لهذه المهمّة؟

ب- كيف كان موقف النجاشي من طلب رسولَيْ قريش، وعلامَ يدل ذلك؟

٥- اذكر أهم ما تضمنته كلمة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي.

٦- متى كانت الهجرة الثانية إلى الحبشة، وكم كان عدد المسلمين المهاجرين فيها؟

عام الحُزن والخروج إلى الطائف

قال الله تعالى

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن].

عام الحزن

في السنة العاشرة للبعثة وبعد خروج النبي ﷺ والمؤمنين من الحصار الذي فُرض عليهم في شِعب بني هاشم، ازداد المرض بأبي طالب ووافته المنيّة، وبعد فترة وجيزة من وفاته توفّيت زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، التي نصرت الإسلام ووقفت مع الرسول ﷺ بمالها ونفسها، فحزن لموتهما أعظم الحزن، وضاعف ذلك من أحزانه، وسَمَّى رسول الله ﷺ ذلك العام (عام الحزن).

مواقف أبي طالب

بعد بعثة النبي ﷺ وقيامه بالدعوة حاولت قريش النيل منه، غير أنهم لم يستطعوا ذلك بسبب حماية أبي طالب له، وعندما حاصرته قريش في شِعْب بني هاشم، كان أبو طالب يحرس النبي ﷺ بنفسه في الشِّعب، فكان إذا حل الظلام نقله من مكانه الذي بات فيه أول الليل، وجعل ابنه عليًّا مكانه، خوفًا على النبي ﷺ من أن يصيبه أي أذى.

ولأبي طالب قصائد كثيرةٌ في مدح النبي والإشادة بالدين، منها قوله:

وَلَقَـــدْ عَلِمْتُ بَأَنَّ دينَ مُحَمـــدٍ ... مِـــن خَـــيرِ أديـــانِ البَرِيَّةِ دِينَا

واللهِ لَـــنْ يَصِلُـــوا إِليكَ بِجَمعِهِم ... حَـــتَّى أُوسَّدَ فِي التُّرابِ دَفِينـا

وقوله:

وأبيَضُ يُستَسقَى الغَمَامُ بِوجهِهِ ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

أقيمُ عَلَى نَصْرِ النَبِيّ مُحَمَّدٍ أُقَاتِلُ عَنهُ بالقنا والقنَابِلِ

حليمٌ رشيدٌ عادِلٌ غيرُ طائشٍ يُوالي إِلَهًا لَيسَ عَنهُ بِغَافِلِ

ولم يتوانَ أبو طالب عن حماية النبي ﷺ حتى آخر لحظة من حياته، فعاش مناصرًا للرسول والرسالة، حتى أدركته المنيّة.

وبموت أبي طالب فقد رسول الله ﷺ الناصر والمؤازر، فقد كان نصيره والحامي له من أذى قريش، وقد حزن الرسول ﷺ أشد الحزن لوفاة عمه أبي طالب، لا سيما بعد أن اشتدت قريش في إيذائه، وزادت من اعتداءاتها عليه وعلى من معه من المسلمين المستضعفين، فكان ﷺ يقول: «مَا نَالَتْ مِنِّي قريشٌ شَيْئًا أَكرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِب».

مواقف أم المؤمنين خديجة

وأمّا أم المؤمنين خديجة، فكانت له نعم المؤازر والمناصر، فقد وَاسَتْهُ بمالها أثناء حصار الشِّعب وغيره، وكانت تُعينه على تحمّل أعباء الرسالة، وتخفّف عنه ما يلقاه من أذى قريش، وأنفقت مالها في سبيل الله؛ لذلك فقد كان رسول الله ﷺ يثني عليها بأحسن الثناء في حياتها وبعد وفاتها، وقد روت أم المؤمنين عائشة أنه قال عن خديجة: «مَا أَبْدَلَنِي اللهُ خَيرًا مِنهَا، فَقَدْ آمنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِيَ النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وواسَتْنِي بمالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ مِنها الولد إذ حرَمَني أولادَ النِّساءِ».

الخروج إلى الطائف

بالرغم مما لقيه رسول الله ﷺ من قومه، إلا أنّه لم ينكسر، وازداد عزيمة وإصرارًا على مواصلة السير في طريق الدعوة إلى الله، فقرّر أن يخرج إلى خارج مكة؛ للبحث عن

https://e-learning-moe.edu.ye

ميدان جديد للدعوة، لعلّه يجد مجتمعًا يحمل مشروع الله، ويكون عونًا له على نصر دين الله، فاختار الخروج إلى الطائف، حيث توجد قبيلة كبيرة هي قبيلة ثقيف، وقد كان ﷺ يأمل في أن يجد من أهل الطائف من يؤمن به ويناصره.

وخرج الرسول ﷺ في شوال من العام العاشر للبعثة النبوية متوجهًا إلى الطائف - التي تبعد عن مكة حوالي ٩٠ كم - وكان بصحبته غلامه زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام.

وفي الطائف أقام الرسول ﷺ مُدَّةً يتنقّل بين أحيائها، ويدعو أهلها إلى الإسلام، ولم يترك أحدًا من زعماء ثقيف وكبارهم إلا دعاه إلى الإسلام، وإلى حمايته ونصرته، فكانوا أشد من قريش في كفرهم وعنادهم، فلم يُسلم منهم أحد.

في طريق العودة إلى مكة

بعد أن يئس الرسول ﷺ من أن يجد في الطائف من يستجيب لدعوته قرّر العودة إلى مكّة، وفي طريق العودة لجأ إلى حائط بستان، وجلس في ظله، وهو في حزن وألم، فتوجّه إلى الله عز وجل مبتهلًا يناجي ربه، ويشكو له همّه، قائلًا: «اللّهُمَّ إليكَ أشكو ضعف قوّتي، وقِلّة حيلتي، وهواني على الناس، أنتَ ربُّ المستضعفين، وأنت ربّي، إلى مَنْ تَكِلُني؟ إلى بعيدٍ يَتَجَهَّمني؟ أم إلى عدوٍّ ملّكْتَه أمري؟ إن لم يكن بك عَلَيَّ غضبٌ فلا أبالي، ولكنَّ عَافيتَك أَوْسَعُ لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصَلُح عليه أمر الدنيا والآخرة، مِنْ أن ينزلَ بي غضبُك، أو يحلَّ عَلَيَّ سَخَطُك، لك العُتْبَى حتَّى تَرْضَى، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك».

وفي دعاء النبي ﷺ ومناجاته لربه دليل على ارتباطه الوثيق بالله تعالى، وأن المؤمن الواثق بالله إنما يستمد قوّته من الله، باللجوء إليه والاستعانة به، وأنه لا يهمه إلا رضا الله، ولا يخشى أحدًا سواه.

إسلام نفر من الجن

وكانت هذه الحادثة تأييدًا من الله تعالى لنبيه ﷺ، ودعمًا معنويًا له، ففي الوقت الذي أعرض الإنس عن دعوته، هيّأ الله له من الجن من استجابوا له، وآمنوا بدعوته، ففي طريق عودة الرسول ﷺ من الطائف، وصل إلى مكان قريب من مكّة، يقال له (وادي نخلة)، وقام يصلّي في جوف الليل، ويقرأ القرآن، فاستمع إليه نفر من الجن، فتأثّروا بسماع القرآن، واهتدوا به، وآمنوا برسول الله ﷺ، والكتاب الذي أنزل عليه.

وكان هؤلاء الجن في هذا الموقف أكثر وعيًا، وأسرع استجابة، وأشد تأثرًا بهدى الله من كثيرٍ من الإنس، حيث آمنوا به من ساعتهم، ثم رجعوا إلى قومهم منذرين، قال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن]، فقد تعاملوا مع القرآن على أنه كتاب هداية ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ فعرفوا قدره وغايته وعظمته؛ لذلك انطلقوا ممتثلين يدعون إليه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٢﴾ [الأحقاف].

وفي ذلك دليل على أن الله تعالى لن يترك دينه، ولن يضيع نبيّه ﷺ، وأنه قادر على أن يهيئ لهذا الدين من ينصره ويدافع عنه، وأن هدى الله الذي أثر في الجن وجعل منهم مؤمنين ودعاة لهذا الدين، قادر على الهداية والتأثير، ويفترض أن يتأثر به كل ذي قلب سليم، وأن نتعامل مع القرآن بمعرفة بعظمته، وأنه كتاب يهدي إلى الرشد، فيكون لسان حالنا كقوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ [الأحقاف:٣١].

الدروس والعبر

١- عِظَمُ همّة الرسول الأعظم ﷺ، وحرصه على هداية الناس، وإنقاذهم من الضلال.

٢- المؤمن يستمد قوّته من الله، ويلجأ إليه، ويستعين به، ولا يخشى أحدًا إلا الله.

٣- الله سبحانه وتعالى هو الذي يصنع المتغيرات، ويحفظ أولياءه وينصرهم.

٤- المسلم يحرص على الدعوة إلى الله بكل الوسائل الممكنة، ولا ييأس أو يستسلم.

٥- يموت العظماء وتبقى آثار أعمالهم التي ساهموا بها في تأسيس الأعمال العظيمة، فيبقى عطاؤهم مستمرًا وأثرهم باقيًا.

٦- هدى الله مؤثر بشكل كبير في النفوس السليمة من العناد والأحقاد.

النشاط

اكتب دعاء رسول الله ﷺ الذي قاله عند خروجه من الطائف في لوحة، وعلّقها في مدرستك.

الأسئلة

١. متى كان عام الحزن؟ ولماذا سمّي بهذا الاسم؟

٢. اذكر السبب فيما يأتي :

أ- خروج الرسول ﷺ إلى الطائف.

ب- حزن رسول الله ﷺ على رحيل أبي طالب وخديجة.

٣. اشرح بأسلوبك قول رسول الله ﷺ : «إن لم يكن بك غضبٌ عَلَيَّ فَلا أُبالي».

٤. اذكر أهم الدروس المستفادة من الخروج إلى الطائف.

٥. اشرح أهم الدلالات التي نستفيدها من قصة إسلام نفر من الجن.

الإسراء إلى المسجد الأقصى

قال الله تعالى

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء].

بعد عودة الرسول ﷺ من الطائف بأشهر معدودة، أكرم الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بمعجزة الإسراء، وهي الرحلة التي أُسْرِيَ فيها برسول الله ﷺ ليلًا بروحه وجسده الشريف بصحبة جبريل عليه السلام، من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس في أرض فلسطين، في ليلة واحدة، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء].

وقد جاءت هذه المعجزة تكريمًا لرسول الله ﷺ، وتثبيتًا له، وفتحًا للأفق أمامه، ليعلم أن الله لن يخذله مهما خذله الناس، وقد ازداد معرفة بما رأى في تلك الرحلة من آيات ربه، وتفكّر في عجائب قدرته.

موقف المشركين من معجزة الإسراء

اكتملت رحلة الإسراء المباركة في الليلة التي أسري فيها، فخرج النبي ﷺ في صبيحة تلك الليلة إلى أصحابه، وأخبرهم بما كان في تلك الرحلة، وما رأى فيها من الآيات الدالّة على عظمة الله وقدرته.

وما إن وصل الخبر إلى المشركين حتى ظنوا أنهم وجدوا الفرصة التي يُعجِزون فيها الرسول ﷺ ويشكّكون في صدق نبوّته، فهبُّوا نحوه مسرعين، وأقبل ﷺ يحدّثهم بما كان من أمر تلك المعجزة؛ رجاء أن تؤثر فيهم، لكنهم كذّبوه، وطلبوا منه إن كان صادقًا في دعواه أن يصف لهم بيت المقدس (المسجد الأقصى)، وكان البعض منهم قد عرفوا بيت المقدس في رحلات قريش التجارية التي كانت تذهب إلى الشام، فوصفه لهم، فقالوا: أمّا الوصف فقد أصاب.

ثم أخبرهم الرسول ﷺ بأمارات أخرى رآها في طريق عودته، فأخبرهم عن قافلة قادمة من الشام، وحدّد لهم صفة القافلة، ومن فيها، ووقت قدومها.

وانتظر المشركون قدوم القافلة، ووصلت في الوقت الذي أخبرهم عنها النبي ﷺ، ومع ذلك لم يزدادوا إلا كفرًا وعنادًا، وأمّا المؤمنون فلم يزدهم ما أخبرهم به النبي ﷺ إلا إيمانًا وتسليمًا.

دلالات معجزة الإسراء

لم تكن حادثة الإسراء إلى بيت المقدس مجرد حادث عَرَضي بسيط، بل كانت معجزة عظيمة للنبي ﷺ، واشتملت هذه الرحلة النبوية على معانٍ عميقة، وأسرار ودلالات كثيرة، منها ما يأتي:

١- التأكيد على وحدة الرسالة، وأن جميع الأنبياء بعثوا برسالة واحدة، هي رسالة الإسلام.

٢- الإشارة إلى أن نبينا محمدًا ﷺ هو وارث الأنبياء، وأنه رسول الله إلى الناس أجمعين.

٣- تجديدٌ لعزيمة النبي ﷺ، وتأكيدٌ على عناية الله بنبيه ﷺ، وتهيئةٌ من الله له للمراحل والتحديات القادمة.

٤- الدلالة على عظيم قدرة الله سبحانه في تسخير الآيات الكونية للنبي ﷺ، وقدرة الله تعالى على تغيير القوانين والنواميس الكونية، فهو وحده خالق هذا الكون والمتصرف فيه.

٥- بيان فضل المسجد الأقصى ومكانته العظيمة في دين الإسلام، فقد وصفه الله سبحانه هو وما حوله بأنه مبارك، وفيه دلالة على أن الله تعالى بارك أرض فلسطين بنزول الوحي والرسالات فيها، وطيب خيراتها .

٦- الإشارة إلى الارتباط الوثيق بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وأنه من المقدسات الإسلامية الواجب على الأمّة حمايتها والدفاع عنها.

الدروس والعبر

١-رعاية الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ .

٢- الله تعالى هو من ينصر دينه، وليس بمقدور أحد أن يوقف مسار الدين أو يمنع ظهوره.

٣-أرض فلسطين أرض إسلامية، يجب تحريرها من اليهود المحتلّين.

٤- التفريط في فلسطين والمسجد الأقصى تفريط في أرض الإسلام و في مقدَّسٍ من أعظم مقدساته.

النشاط

شارك زملاءك في عمل مجسَّمٍ أو رسم لوحة للمسجد الأقصى، عليها آية الإسراء.

الأســـئلة

١- ما المقصود بالإسراء؟ ومتى كان؟

٢- قارن بين موقف المؤمنين، وموقف قريش من حادثة الإسراء بعد أن أخبرهم بها الرسول ﷺ .

٣- بين باختصار دلالات حادثة الإسراء.

بيعتا العقبة

قال الله تعالى

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام].

لأن الدعوة إلى الإسلام تحتاج إلى نواةٍ مَكانية ومُجتمعية تحتضنُها وتحملُ نورَ مشروع الله وهديه، فقد ظلَّ النبي ﷺ بكل عزمٍ واهتمامٍ يدعو القبائلَ العربية إلى دين الله، ويلتقي بمن استطاع منهم في الأشهر الحرم، ولا سيما موسم الحج، بأسلوب راقٍ وكفاءة عالية، وحكمة منقطعة النظير، ولم تستجب تلك القبائل، ولم يهن عزمه لإعراضهم، ومنهم: بنو عامر بن صعصعة، وبنو حرب، وفزارة، وغسان وغيرهم.

وشاء الله عز وجل أن تتهيّأ الظروف لمرحلة جديدة للدعوة الإسلامية، فبعد أن امتنعت قريش وثقيف وغيرهما من القبائل العربية، عن الاستجابة لرسول الله ﷺ استبدل الله بهم قومًا آخرين، وهيَّأ مجتمعًا لاحتضان دعوة الإسلام ونيل شرف نصرة دين الله وهم الأوس والخزرج، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام].

وفي هذا الدرس سنتناول لقاء الرسول ﷺ بجماعة من الأوس والخزرج، ومبايعتهم له في بيعة العقبة، وما نتج عنها من نتائج عظيمة غيّرت مسيرة الدعوة الإسلامية.

العوامل التي هيأت الأوس والخزرج للإسلام

كان هناك عدة عوامل ساعدت على استجابة قبيلتي الأوس والخزرج اليمانيّتين للدخول في الإسلام، منها ما يأتي:

١- الأخبار والتنبؤات بظهور نبي آخر الزمان في ذلك المكان، حيث ذكرت كتب التاريخ أنّ الملك تُبّع أمر أجدادهم بالذهاب مع أهلهم ومتاعهم إلى يثرب؛ لينصروا نبي آخر الزمان بعد أن سمع بقرب مبعثه.

٢- لين قلوب اليمنيين وتأثّرهم السريع بهدى الله وقبولهم له.

٣- حكمتهم وصوابية تشخيصهم للواقع، وأن الاستجابة لدعوة الإسلام هي الحل الأمثل للخروج من التيه والصراعات التي يُعاني منها مجتمعهم والمجتمع العربي عمومًا.

٤- عدم تأثرهم بالأكاذيب والإشاعات التي كانت تبثها قريش لتشويه النبي ﷺ، وتنفير الناس عنه، فقد كانوا يدركون أن قريشًا غير مأمونة؛ بسبب استكبارها وعداوتها للنبي ﷺ.

بدء إسلام الأنصار

كان اللقاء الأول لرسول الله ﷺ بستة من أهل يثرب بشكل سرّي ليلًا في موسم الحج، فقد قابلهم وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم بعض آيات الوحي المنزّل عليه، فما كان من أولئك النفر إلا أن أسلموا بين يدي النبي ﷺ، ثم قال بعضهم: (إن بين قومنا عداوةً وشرًّا، فإنْ يجمعهم الله عليك فلا رَجُلَ أعزُّ منك)، فلما رجعوا حدّثوا قومهم بالإسلام.

وكان هدف رسول الله ﷺ من هذا الاجتماع هو حث هؤلاء الأشخاص على القيام بنشاط في بلادهم لتهيئة الجو، وإيجاد مناخ مؤيّدٍ للدعوة الإسلامية في المدينة.

بيعة العقبة الأولى

في موسم الحج في العام التالي، وهو عام ١٢ من البعثة النبوية، قدم من يثرب إلى مكة للحج اثنا عشر رجلًا من أهل يثرب، فيهم خمسة من الذين لقيهم النبي ﷺ في الموسم الماضي، فاجتمعوا برسول الله ﷺ، وسمعوا منه، وأسلموا بين يديه وبايعوه، وهذه البيعة تسمّى (بيعة العقبة الأولى).

سفير الإسلام في المدينة

بعد أن تمت البيعة الأولى عند العقبة، وأراد أهل يثرب الانصراف إلى بلدهم في نهاية موسم الحج، بعث النبي ﷺ معهم مندوبًا عنه، يعلّمهم القرآن، وينشر دين الإسلام بين أهل يثرب، وَاختار الرسول ﷺ لهذه المهمّة (مصعب بن عمير)، فكان أول سفير في الإسلام.

وتوجّه مصعب معهم نحو يثرب، ونزل في دار أسعد بن زرارة، وأخذ ينشر الإسلام في أهل يثرب، ويتحرّك فيهم يدعوهم إلى الله بجد وحماس، وكان يساعده في ذلك أسعد بن زرارة، فكان يدله على مجالس القوم، ليُقرئهم القرآن، ويدعوهم إلى الإسلام.

وقد نجح مُصعب في مهمّته نجاحًا عظيمًا، واستطاع بفعل وعيه وخبرته، وبما يحمله من نور القرآن، ووصايا الرسول ﷺ، أن يقوم بواجبه، وأن يصل إلى قلوب الناس، ويحبّبهم إلى دين الله تعالى، وكان عدد المسلمين في يثرب يزداد يومًا بعد يوم.

وكان مصعب بن عمير يُسمّى مُقرئ القرآن، ولقد كان الرجل من أهل يثرب يسمع بأمر مصعب، فيأتي إليه لينال منه، فيقرأ عليه شيئًا من القرآن فينصت له، فلا يخرج من عنده إلا وقد هداه الله للإسلام وتأثر بهدى الله واستجاب له.

ومن ذلك ما كان من أمر سعد بن معاذ، فقد أتى لينهر مصعبًا وينال منه، فما رجع من عنده إلا وقد أسلم، ورجع إلى قومه، ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا.

وانتقل مصعب بن عمير بعد ذلك إلى دار سعد بن معاذ، فلم يزل يدعو، ويهدي الله على يديه من سمعه من أهل يثرب، حتى أسلم أشرافهم، كسعد بن عبادة، وأسيد بن حضير، وعمرو بن الجموح، وغيرهم من سادات القوم، وتبعهم بقية قومهم، ولم تمض سنة واحدة إلا وقد انتشر الإسلام في ربوع يثرب، وأسلم من أهلها الكثير، وصار أغلب أهل يثرب - التي سمّيت فيما بعد بالمدينة المنورة - مؤيدين للرسول ﷺ وأنصارًا له، وصارت المدينة مهيّأة لقدومه.

بيعة العقبة الثانية

عاد مصعب بن عمير إلى مكة في العام التالي في موسم الحج، وقدم معه من أهل يثرب ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان أتوا للقاء الرسول ﷺ.

وكانت قد جرت بين رسول الله ﷺ وبينهم تواصلات سرّية؛ لتحديد زمان ومكان اللقاء، وتم الاتفاق على أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق في الشِّعب الذي عند العقبة حيث الجمرة الأولى من مِنَى، وأن يتم هذا الاجتماع في سرّية تامة في ظلام الليل الدامس؛ حتى لا تعلم بهم قريش.

وخرجوا في الوقت المحدّد متسللين مستخفين، وجاء رسول الله ﷺ، وكان معه علي بن أبي طالب، وعمه حمزة بن عبد المطلب، فتكلّم رسول الله ﷺ، فتلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله، ثم قال: «**أُبايعكم على السَّمعِ والطَّاعةِ، وعَلَى النَّفقةِ في العُسرِ واليُسرِ، وعلى الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المُنكرِ، وَعَلَى أن تقومُوا فِي اللهِ، وَلَا تأخُذكم في اللهِ لومةُ لَائِمٍ، وعَلَى أَن تَنصرُوني إِذَا قدمتُ إِليكُم، وتمنعوني ممّا تَمنعُون مِنه أَنْفُسَكُم وَأَزوَاجكم وأبناءَكم، وَلَكُمُ الجَنَّة**».

وقام أسعد بن زرارة فقال: "رويدًا يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإنّ إخراجه اليوم مفارقة العرب كافّة، وقتل خياركم، وأن تعضّكم السيوف، فإمّا أنتم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خِيفةً فذروه، فهو أَعذرُ لكم عندَ الله".

فقالوا: (يا أسعدُ، والله لا نَذَرُ هذه البيعةَ، ولا نستقيلها).

ثم قالوا: ابسط يدك يا رسول الله، فبسط الرسول ﷺ يده، فبايعوه .

وكانت هذه المعاهدة من أهم الأحداث في تاريخ الإسلام، وهي التي تسمّى (بيعة العقبة الثانية).

اختيار النقباء

بعد أن تمت البيعة، طلب رسول الله ﷺ منهم أن يختاروا منهم اثني عشر نقيبًا، يكونون كفلاء على قومهم في تنفيذ البيعة، فاختاروا ثلاثة من الأوس، وتسعة من الخزرج، ثم أخذ عليهم النبي ﷺ ميثاقًا آخر بصفتهم ضمناء على قومهم، فقال لهم: **«أنتُم على قومِكم بِما فيهم كُفلاء، ككفالةِ الحواريين لعيسى بنِ مريم، وأنا كفيلٌ على قومي»** - أي المسلمين في مكّة - قالوا: نعم.

وقد وفّى الأوس والخزرج ببيعتهم، ووقفوا مع رسول الله ﷺ، ونصروه، وسجلوا أعظم المواقف في تاريخ الإسلام؛ حتَّى سمّاهم الله سبحانه وتعالى في القرآن بالأنصار.

وكانت بيعة العقبة الثانية تمهيدًا لهجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وبداية تأسيس الدولة الإسلامية .

الدروس والعبر

١. أهمية الاستجابة لهدى الله ونصرة دينه.

٢. عظمة من يسارعون في نصرة الحق وتوفير البيئة الحاضنة له.

٣. بإمكان المؤمن أن يساهم في أعمالٍ تكون آثارها كبيرة وخالدة ومغيّرةً لواقع الأمة.

النشاط

في ندوة مدرسية وبإشراف إدارة المدرسة تحدث عن مدى استجابة الأوس والخزرج (الأنصار) لرسول الله ﷺ، وأثر تلك الاستجابة في إحداث نقلة لرسالة الله إلى العالمين.

الأسئلة

١- بيّن العوامل التي هيأت قبيلتي الأوس والخزرج للدخول في الإسلام.

٢- ما الدور الذي قام به مصعب بن عمير في يثرب.

٣- من القائل وما المناسبة؟ فيما يأتي:

أ- (إنَّا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلَّا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإنّ إخراجه اليوم مفارقة العرب كافّة).

ب- (أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم).

٤- علّل ما يأتي:

أ- حَرِص النبي ﷺ على أن يتم الاجتماع بالأنصار في العقَبَة في سرّية تامّة.

ب- طلب رسول الله ﷺ من الأنصار أن يختاروا منهم اثني عشر نقيبًا.

٥- اذكر الدروس والعبر المستفادة من بيعتي العقبة.

تم بحمد الله

الإدارة العامة للمناهج





https://e-learning-moe.edu.ye